المعرفة النقدية

مدخل الى نظرية المعرفة في الفلسفة

تأليف
الدكتور رسول محمد رسول

الكندي

المعرفـــــة النقدّيـــة

مدخل إلى نظرية المعرفة في الفلسفة

الدكتور
رسول محمَّـد رسول

الطبعـة الأولـى
1422-2001

دار الكنـــدي

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠١/٦/١١٣٤)

١٤٢
رسو رسول، محمد رسول
المعرفة النقدية: مدخل الى نظرية المعرفة في الفلسفة/
رسول محمد رسول . - عمان : دار الكندي، ٢٠٠١
( ) ص
ر. أ (٢٠٠١/٦/١١٣٤)
الواصفات / الفلسفة / / الفلسفة النقدية /
*تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبه الوطنية

دار الكندي للنشر والتوزيع
اربد - الأردن
تلفاكس ٧٢٤٤٣٢٣ ص. ب ٨٩٣

محتويات الكتاب

	الصفحة
الإهـــداء	3
المقدمة	9
التمهيد	13
ـ مـفـــهوم نظرية المعرفة	15
ـ الإتجاه التجريبي	19
ـ الإتجاه العقلي	26
الفـصل الأول ـ ملكة الحس والمكان	33
ـ المـدخـــل	35
ـ مشكلة المكان قبل كانط	36
ـ مشكلة المكان في فلسفة كانط (المرحلة قبل النقدية)	38
ـ المكان في فلسفة كانط (المرحلة النقدية)	40
ـ الخلاصـــة	44
الفصل الثاني ـ ملكة الحس والزمان	45
ـ المـدخـــل	47
ـ مشكلة الزمان قبل كانط	47
ـ مشكلة الزمان في فلسفة كانط (المرحلة قبل النقدية)	48
ـ مشكلة الزمان في فلسفة كانط (المرحلة النقدية) نقد نيوتن وليبنتز	50
ـ العـرض الميتافيزيائي للزمان	51

- العرض الترانسندنتالي للزمان 53
- الخلاصـــة 55

الفصل الثالث ـ ملكة الفهم والأحكام 57

- المـدخـــل 59
- ملكة الفهم (المفهوم) 60
- الحكم وملكة الفهم 61
- الأحكام وملكة الفـهم 62
- الخلاصـــة 68

الفصل الرابع ـ ملكة الفهم والمقولات 69

- المـدخـــل 71
- الأحكام والمقولات 71
- المقولات بين كانط وأرسطو 72
- خصائص مقولات كانط 74
- الخلاصـــة 76

الفصل الخامس ـ عناصر الربط بين ملكة الحس وملكة الفهم 77

- المـدخـــل 79
- الربط أو التأليف 79
- وحدة الإبصار التأليفية 80
- المخيلة 82
- الرسومات 84
- الخلاصـــة 87

الفصل السادس ـ مبادىء الفهم التركيبية المحضة 89

- المـدخـــل 91

ـ مبدأ مسلمات الحدس 93
ـ مـبدأ إستباقات الإدراك 94
ـ مبادىء تمثيلات التجربة : ١ ـ مبدأ دوام الجوهر 95
٢ ـ مبدأ التوالي الزمني 98
٣ ـ مبدأ المعّية أو الاشتراك 100
ـ نقد المثالية 104
ـ الخلاصـــة 105
الخاتمـة 107
المصادر والمراجع 113
ـ أولاً ـ مؤلفات كانط المترجمة إلى اللغة العربية 115
ـ ثانيـاً ـ المصـادر والمراجع باللغـة العـربيـة والأجنبـية المترجمة إلى
العربية 115
ـ ثالثاً ـ مؤلفات كانط باللغات الأجنبية 118
ـ رابعـاً ـ المصادر والمراجع باللغات الأجنبية 118

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

مـهما إتسـعت دائرة الدراسـات الفلسفية في نظرية المعرفة فإنها تحتاج على الدوام إلى إعـادة في النظر من جـديد، ذلك أن المعـرفـة الفلسفية تنطوي على إمكانية التفسير والتأويل أكـثـر من غيرها من أنواع المعـارف الأخـرى، وإذا كان هذا الأمر ينطبق على الفلسفة على نحو عام فإنه ينطبق على نحو خاص على بعض الإسـهامات الفلسفية التي تعـد فـواصل مـهـمـة في تاريخ الفلسفة ومنها الفلسفة الكانطية في مهدها الأول لدى إمانويل كانط ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ .

لقد كانت للفلسفة الكانطية أثرها الكبير في مجال الميتافيزياء، لكن الأثر الذي لا يقل أهميـة إنما يكمن في نظرية كـانط في المعـرفـة، لقـد دشن كـانط مرحلة جديدة في هذا المجـال في تقديمه تفسيراً جديدة يطوى بين جناحيه ما توّصل إليه الفلاسفة من قبله، وبخاصة العقليون أمثال : ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ وليبنتز ١٦٤٦ ـ ١٧١٦، وفولف ١٦٧٩ ـ ١٧٥٤، والتـجريبيون، أمثال : جون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤ وهيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦ وعـدد من الفـلاسـفـة الألمان أمثال : كروسيوس ١٧١٢ ـ ١٧٧٥ وداريس ١٧١٤ ـ ١٧٧٢ ولمبرت ١٧٢٨ ـ ١٧٧ وكنوتسن ١٧١٣ ـ ١٧٥١، ومن هنا كان لابد لنا من إسـتـعراض الأفكار الفلسفية التي قدّمها الفلاسفة قبل كانط في نظرية المعرفة، والتـوقف عند الإرث النقـدي الذي صـاغ كـانط على أساسه عناصر نظريته في المعرفة النقدّية، وهذا ما تضّمنه التمهيد الذي تصدّر هذه الرسالة .

تقوم نظرية المعرفة لدى كانط على أساسين يتكاملان في توليد المعرفة النقدية وهما

ملكة الإحساس أو (الحساسية) Sensibility وملكة الفهم أو (الفاهمة) Understand-ing، إن كل واحدة من هاتين الملْكتين تنطوي على عناصر إنْ هي إلا الشروط الأساسية لأي معرفة ممكنة .

تتضّمن ملكة الإحساس على صورتين قبليتين هما : المكان والزمان، وقد تناولتُ في (الفصل الأول) أثرُ المكان في هذه الملكة من خلال إستعراض المكان كمفهوم فلسفي لدى الفلاسفة قبل كانط، ولما كانت فلسفة الأخير قد تطورت خلال مرحلتين أو أكثر من ذلك فإن المرحلة النقدية تفصل بين مرحلة سابقة ومرحلة لاحقة في حياة كانط الفلسفية، ومن هنا وجدتُ من المناسب تحديد مفهوم كانط للمكان في المرحلة قبل النقدية وبعدها، وهو ما يمثل جوهر فهمه بإعتباره مفهوماً قبلياً محضاً يُعد شرطاً من شروط الحس .

إلى جانب المكان تناولت في (الفصل الثاني) مفهوم الزمان في الفكر الفلسفي الغربي الحديث قبل كانط وموقف الأخير من الفلاسفة قبله ونقده لمفهوم نيوتن ١٦٤٢ ـ ١٧٢٧ وليبنتز، ثم الوقوف عند العَرضين، الميتافيزيائي والترانسندنتالي للزمان حسبما يراهما كانط في فلسفته لنظرية المعرفة .

مع (الفصل الثالث) دخل البحث في هذا الكتاب مرحلة النظر في (ملكة الفهم) فكان لابد من تحديد مفهوم الفهم وبيان أثره في نظرية كانط في المعرفة النقدية، ثم الكشف عن العلاقة فيما بين ملكلة الفهم، من جهة، وبين (الأحكام) من جهة أخرى، فالمعرفة في نظر كانط ليست إنعكاساً للموضوعات المتأتية إلى فكرنا من الخارج بواسطة الإنطباعات إنما هي عبارة عن عملية حكم يصدره فهمنا على الموضوعات والأشياء .

إن لائحة الأحكام عُدّت، من وجهة نظر كانط، الأساس الرباعي الذي صنّف عليه لائحة المقولات، لقد تناولت في (الفصل الرابع) علاقة المقولات بالأحكام، وبيان العلاقة بين مقولات كانط ومقولات ارسطو وتحديد الخصائص التي تتميز بها مقولات الأول على الثاني وأنتهيت إلى تحديد دور المقولات في ملكة الفهم وفي بناء المعرفة النقدية .

إن العلاقة بين عناصر الحساسية، أي المكان والزمان، وبين المقولات والأحكام من قبل هي علاقة لما تزل غامضة، بل غير ممكنة ما لم تتوافر بعض المقاربات التي

توصل هذه العلاقة بين الطرفين، لقد درست في (الفصل الخامس) عدداً من المفاهيم الأساسية في هذا المجال مثل : مفهوم الربط أو التأليف ومفهوم وحدة الإبصار التأليفية ومفهوم المخيلة، ومفهوم الرسوم أو الخطاطات، أن هذه المفاهيم تُعد، من وجهة نظر كانط، أدوات للتوصيل بين ملكتي الإحساس والفهم أي بين المكان والزمان وبين المقولات والأحكام .

ومع هذا لم تكن هذه المقاربات كافية لخلق معرفة نقدية ممكنة من حيث إرتباطها بالعالم الموضوعي، عالم الأشياء والموضوعات وعالم الفهم، عالم المفاهيم القبلية والمجردة وهذا ما كان مدعاة لأن أبحث مع كانط في (الفصل السادس) من الكتاب عما يجعل كل هذه المفاهيم حاصلة على إمكانية الإنطباق على الموضوعات والأشياء فلجأتُ إلى إستعراض المبادىء التركيبية القبلية المحضة التي تسمح بإنطباق مفاهيم الإحساس ومفاهيم الفهم القبلية المحضة على معطيات العالم الموضوعي إنطباقاً من شأنه توليد معرفة نقدية ممكنة قبلياً، وهذه المبادىء هي : مبدأ مُسلمات الحدس، ومبدأ إستباقات الإدراك، ومبدأ تمثيلات التجربة، ومبدأ مصادرات الفكر التجريبي .

إن نظرية المعرفة النقدية لدى كانط إعتمدت على الإرث النقدي الذي دشنه عدد من الفلاسفة الغربيين من قبله، وقد حاول في نظريته للمعرفة أنْ يتجاوز الأزمة التي وقعت بها التجريبية النقدية لدى جون لوك والمثالية الإحتمالية لدى ديكارت والمثالية الدغمائية لدى باركلي، إنه إستطاع أن يتجاوز الأزمة التي إنفردت بها الفلسفات الواحدية الإتجاه أي : التجريبية والعقلانية كلا على إنفراد في التوّصل إلى صياغة تركيبية تكاملية يتواصل فيها الحس مع الفهم في توليد المعرفة تواصلاً دقيقاً ومحكم البناء مما أضفى على فلسفة كانط في المعرفة قيمة تأريخية مهمة في مجال الدراسات الفلسفية الحديثة .

لقد إعتمدت في هذا الكتاب على عدد من المصادر الرئيسة التي تدخل في صميم فلسفة كانط الأبستمولوجية، وبخاصة كتابه (نقد العقل المحض ١٧٨م)، إذ عمد كانط إلى حصر الأفكار الأساسية لنظريته في المعرفة في القسم الأول والكتابين الأول والثاني من كتاب (نقد العقل المحض)، وما وضعه في كتبه السابقة وكتبه اللاحقة إنْ هو إلا

مـقـدمات أو شروح لما وجدناه في كتابه (النقد) سوى بعض التغييرات الأسلوبية التي ظهرت في كتابه (مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة) .

إن مـا تسـعى له هذه الفـصول هو بيان الكيفية التي يفسر بها كانط أصل المعرفة وطبـيـعـتها ومصدرها، ومن ثمة، الكشف عن العناصر المقوِّمة لهذا التفسير في سياق النصـوص الكانطية ذاتها لأنها الأكثر صدقاً في التعبير عن جوهر الموقف الكانطي من إشكالية المعرفة .

لقـد تم إستخدام الطبعة الثانية من (النقد) وهي التي إحتوت على المقدمة الجديدة، ففي هذه الطبعة تمت الصياغة النهائية لفلسفة كانط في المعرفة والميتافيزياء، ومن ذي قـبل تعـرّف القـارىء العربي على (نقد العقل المحض) في الترجمة التي قدّمها الأستاذ (أحمد الشيباني)، إلا أن هذه الترجمة لم تكن لتفي بالغرض المنشود فجاء إعتمادنا على الترجمة الجـديدة (للنقـد)، وهي مـا قـام بها الدكـتور موسى وهبة ونشرت من لدن (مـركز الانماء القومي) في بيروت، وبين الترجمتين ثمة إختلاف في ترجمة المصطلحات الكانطيـة في النقد، إلا أن الترجمة الجديدة إقتربت من الروح الكانطية أكثر من السابقة لكنهـا تجـاوزت الشـائع والمعمول به من المصطلحات الفلسفية في بعض الأحيان فكان لنا أن نحـاول تبـسـيط الترجمة في الموائمـة فيما بين الشائع من جهة وما يقترب من الروح الكانطية من جهة أخرى .

إن البـحث في الفلسفة الكانطية واسع وكبير وذلك لما إحتلته هذه الفلسفة من أهمية كـبيرة في التـاريخ، وما نُقدمه هنا في هذه الرسالة، لا يمثل إلا جانباً من جوانبها، ولنا الطموح في أن يكون هذا الجانب مقدمة لدراسات جديدة في فلسفة كانط .

أخيراً لا يسـعني إلا أن أتقدم بشكري للأستاذ الدكتور **قيس هادي أحمد**، أستاذ الفلسـفة الحديثة والمعاصرة في جامعة بغداد على ما أبداه من عناية أثناء كتابتي فصول هذا الكتاب .

المؤلـف

التمهيـــــــد

- مفهوم نظرية المعرفة
- الإتجاه التجريبي
- الإتجاه العقلي

١ ـ مفهوم نظرية المعرفة :

ليس من الموضوعية أن نلجأ إلى تحديد مفهوم نظرية المعرفة من دون إزاحة الغموض الناشيء حول هذا المفهوم، ذلك أن تراكم إستعماله في ميادين الفكر والمعرفة أدى إلى تضخم إستخداماته وتعدد دلالاته التداولية، ومنها :

١ ـ الإعتقاد السائد بتطابق دلالة مفهوم (نظرية المعرفة Theory of Knowledge) مع دلالة مفهوم آخر هو : (الأبستمولوجيا Epistemilogy) (١) والحال أن هناك إختلافاً في إجرائية كل من المفهومين وأستعمالهما، إذ بينما نركز في الأول على دراسة المعرفة في أصلها وتكوّنها وبنائها، نركز في الثاني على علاقة المعرفة بالأطر المعرفية الناشئة حولها كالعلم والتاريخ. (أنّ الأبستمولوجيا ليست إستمراراً لنظرية المعرفة الكلاسيكية، ولا هي جزء منها. بحيث يتخصص في البحث حول المعرفة في مجال معين هو العلم، أن ما تهدف إليه الأبستمولوجيا هو أن تكون، ضمن صورة العلاقة الجديدة بين الفلسفة والعلم، البديل عن نظرية المعرفة ...) (٢) وهذا يعني أن الأبستمولوجيا تطرح علاقة جديدة، (فبوصفها تفكيراً حول العلم تدخل في إطار ما نسميه ما بعد العلم) (٣) لتوّسع من مجال اشتغالها، فهي تفكير نقدي حول كل العلوم والمعارف والفلسفات والفنون في نشأتها وتطورها والعلاقات المتداخلة بين نظريات وقضايا ومسائل ومفاهيم هذه العلوم والمعارف والفلسفات والفنون وبذلك فهي ليست العلم ولا الفلسفة ولا علم المناهج أو نظرية المعرفة، لكنها كل ذلك من زاوية ما .

٢ ـ ومن مظاهر الغموض في دلالة مصطلح نظرية المعرفة إنصراف البحث فيها إلى دراسة عدد من العمليات العقلية والشعورية كالإحساس والإدراك الحسي والتذكّر والتخيل والإنتباه والتفكير، وإذا كان تطور البحث وتوسيعه في هذه المسائل قد

---

(١) حول اشكالية ترجمة المصطلح أنظر دراستنا : (مسألة الابستمولوجيا بين النصين الفكري والمعجمي)، دراسات عربية، ع٣/٤ بيروت ١٩٩٣، ص ٨٧ وما بعدها .
(٢) د. محمد وقيدي، ما هي الابستمولوجيا، ص ٤٩، ط١، بيروت ١٩٨٣ .
(٣) روبير بلانشي : نظرية المعرفة العلمية (الأبستمولوجيا)، ص ٣٨، تر : د. حسن عبدالحميد، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت ١٩٨٦ .

فـتح آفـاقـاً علمـية جديدة للفلاسفة فإن ذلك لا يلغي إستقلالية البحث في نظرية المعـرفـة وأخـتصاصه بالروح الفلسفية على النقيض من البحث في هذه الوظائف التي تخصص علم النفس في دراسـتـهـا وتطوير البـحث فـيـهـا على نحو جزئي إخـتـيـاري، يعتمد التحليل العياني المباشر، وإذا ما فهمت نظرية المعرفة بوصفها العلم الذي ينصرف إلى دراسـة هذه الوظائف فإنه ليس إلا علمًا تطبـيـقياً للنفس يغـيب عن البـحث في المسائل العامة للعلم والمعرفة وهو ما تتوخّاه نظرية المعرفة أصلاً .

٣ ـ يحاول أزفلد كولبه (١) أن يوسع من مفهوم (نظرية المعرفة) لتشتمل على وظائف متعددة هي :

١ ـ التفرقة بين ما هو في حدود التجربة، وما هو خارج عن حدودها .

٢ ـ التـفرقة بين ما يدركه العقل مستقلاً عن التجربة، وما لا يُدرك إلا عن طريق التجربة .

٣ ـ البـحث في الشروط الواجب توافرها في الأحكام الضرورية اليقينية، أي : النظر في مادة العلم الضروري، ولم كان كذلك ؟

٤ ـ البحث فيما هو ذاتي وما هو موضوعي من المعلومات .

٥ ـ تقسيم العلم إلى صوري ومادي .

٦ ـ البـحث في مـعنى الوجـود والتغيرّ، والنظر في نوع خاص من أنواع التغير هو «النمو» .

٧ ـ تبحث نظرية المعرفة مفاهيم المصطلحات الآتية : المادة، القوة، الطاقة، الحياة، العقل، كما تبحث الصلة بين الظواهر النفسية والظواهر الطبيعية .

إن محاولة كـولبـه هنا تراعي جميعَ التطورات التي حدثت في القرن التاسع عشر، وبخـاصـة نمـو العلوم الإخـتـبارية والمنطقية والفلسفات الحيوية (٢) الـتي ولدّت

(١) أزفلد كولبه : المدخل إلى الفلسفة، ص ٤٦ ـ ٤٧، تر : أبو العـلا عفيفي، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٣، ١٩٥٥ .

(٢) حـول هذه الاتجـاهات أنظر كتاب جود : منازع الفكر الحديث ص ١٤٤ فما فـوق، تر : عباس فضلي خماس ود. عبدالعزيز البسام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٦ .

مـفـاهيم جـديدة يغلب عليـها الطابع النفسي الذي يرتبط أشد الإرتباط بالإنسان بوصـفه طاقة متناهية تكتنز معطيات معرفيّـة عديدة يعني توسيع مفهوم نظرية المعـرفة من كونه مبحثاً فلسفياً صرفاً إلى كونه مبحثاً يشترك فيه العلم إلى جانب الفلسفة في دراسة المعرفة البشرية .

٤ ـ إن مـبحث نظرية المعرفة مهما تراكمت حوله التفسيرات العلمية والنفسية يبقى في الأسـاس مـبـحثاً فلسفياً ذلك أنّ العلم لما يزل قاصراً في الإجابة عن أسئلة عديدة تسـتطيع الفلسـفة الإجابة عنها حول إمكان المعرفة وطبيعتها ومنابعها الأصلية، وإن إستطاع العلم الإجابة بقدر أو بآخر عن هذه الأسئلة فستبقى إجاباته مفتقرة إلى الشمول والعمق الذي نجده في الفلسفة .

من هنا يمكن حصر أهم المسـائل التي يعالجها الفيلسوف في مبحث نظرية المعرفة في ثلاثة أسئلة هي :

١ ـ ما هي طبيعة المعرفة على نحو عام بغض النظر عن نوع الحقيقة المعرفية ؟

٢ ـ ما هو المصدر الذي يستقي منه الإنسان معرفته ؟

٣ ـ هل في مـسـتطاع الإنسـان أن يتناول بمـعـرفته كل شيء بغير تحديد، أم أن لوسعه حدوداً ؟[١]

لقـد تعـددت إجـابات الفـلاسفة عن هذه الأسئلة، وتطّور أمرها حتى تحولت إلى إتجاهات واضحة الإختلاف شديدة التضاد، فأحالت الى تنوّع عمّق مشكلة المعرفة في البحث الفلسفي ووسع من دائرة السؤال الفلسفي في المعرفة .

إن البـحث في طبـيـعـة المعرفة وأصلها وإمكانها أدى إلى ظهور إتجاهات فلسفية عديدة منها :

١ ـ المذهب العـقلي : الذي يرى أن العقل مصدر المعرفة وفيه مبادىء تتسم بأنها شاملة وضرورية .

---

(١) د. زكـي نجـيب محمـود، نظرية المعـرفـة، ص ١٠، مطابع وزارة الثـقـافـة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٥٦ .

٢ ـ المذهب التـجـريبي : الذي يرى أن العـالم الخارجي هو مصدر المعرفة ومنه يستمد العقل عن طريق الحواس المعطيات الحسية لبناء معرفة محددة .

٣ ـ المذهب النقدي : الذي يرى أن معطيات الحواس تشترك مع معطيات الفهم في توليد المعرفة، والأولى خاضعة لسلطة التصورات القبلية في الفهم[١] .

٥ ـ على الرغم من أن البـحث في (نظرية المعرفة) هو مقصد لجأ إليه الفلاسفة القدماء كـالفلاسفة اليونان والاسلاميين من بعدهم، فإنه لم يجد استقلاله إلا في العصور الحـديثة، فقد كان بحث المعرفة ودراستها لدى القدماء غالباً ما يتداخل مع مبحث المنطق والميـتـافـيزياء مما أضفى عليه طابع الغموض والتداخل، إلا أنه مع مطلع العصر الحديث أشرقت شمس جديدة على هذا البحث فأخذ وجهة جديدة تتساوق إلى حد كبير مع الخطاب الفلسفي العام الذي دشنه الفلاسفة في العصر الحديث .

لقـد إخـتلفت الآراء حـول بدء الإشراقـة الجـديدة الأولى لهذا البـحث فهل هي مع ديكارت، أم مع لوك ؟[٢]

يبـدو لي أنه ليس هناك بدء حـاسم فكل المحاولات لدى بيكن [٣] وديكارت ولوك أسهمت في تكوين رؤية جديدة للبحث في مشكلة المعرفة، ولكن محاولة الأخير كانت قد طرحت مـشكلة المعـرفـة على نحو أوسع وقادت جميع المحاولات السابقة إلى مستوى آخـر من الدراسـة والنظر فكانت محاولة لوك المحاولة الجادة في هذا السبيل وبخاصة مع صـدور كـتـابه «مقال في الذهن البشري» سنة ١٦٩٠، إذ أدت هـذه المحـاولة إلى تجـذير الإخـتلاف وتعميق النقاش في مسائل المعرفة مما أدى إلى إثارة فيلسوف عقلي مـثل ليـبنتز ليضـع كتاباً تخصص أحد أجزائه لبحث (نظرية المعرفة) وهو (محاولات

---

(١) حـول هذه التـقـسـيمات أنظر : هنتر ميد، الفلسفة : أنواعها ومشكلاتها، ص ١٨٨ وما بعدها، وتوفـيق الطويل، أسس الفلسفة، ص ٢٩٦ ومـا بعـدها، وهذه هي المذاهب الرئيسة في المعرفة ولكن هناك مـذاهب أخـرى كالمذهب الصوفي والحدسي الذي يعتمد على المعرفة المباشرة والمفاجئة التي تتـجـاوز ملكات العـقل والحس واشـتراكـهما، للمـزيد انظر : ناجي حـسين جودة، المعرفة الصوفية، ص ١٦ وما بعدها، دار عمار، عمان ـ الأردن، ط١ : ١٩٩٢ .

(٢) حول هذه الآراء المختلفة أنظر : ناجي حسين جودة، المعرفة الصوفية، ص ١٤ .

(٣) ١٥٦١ ـ ١٦٢٦ .

جديدة للفهم الإنساني)[1] سنة ١٧٠٩، وإذا كـان تأثير لوك في ليبنتز يعد عكسياً فإن تأثيره في دافـيـد هيـوم كان إيجابياً في ذات الإتجاه التجريبي، فقد أخذ هيوم عن لوك إتجـاهه (التجريبي وعمل على تطويره حتى وصل به إلى آخر مداه بلا تحفّظ أو تقييد، فـهـو يسير في كـتابه «رسالة في الطبيعة البشرية» سنة ١٧٣٩ في نـفس الطريق الذي سـار فيه لوك من قبل في كتابه «مقال في الذهن البشري» في رفضه لكل معرفة فطرية أولية وسابقة)[2] .

لقـد فـتح لوك إذاً باب البـحث في المعـرفـة على مصراعـيـه، وأثّـر في التجريبيين والعـقليين مـعـاً، فما هي أهم الأفكار الفلسـفية الخاصة بنظرية المعرفة التجريبية من جـهـة والعـقـلانية من جهة أخرى، وما هو تأثيرها في بناء نظرية المعرفة النقدية لدى كانط من جهة ثالثة ؟

٢ ـ الإتجاه التجريبي في المعرفة :

أ ـ يعـدّ لوك واضـع الخطوط العـريضة الأساسية لنظرية المعرفة عند التجريبيين ذلك أنه رأى أنّ العـقل البشري هو عـبارة عن صفحة بيضاء خالية من أية أفكار، وأن مصدر الأفكار في الذهن إنما هو التجربة أو الخبرة .

فما المقصود بالتجربة كما يراها لوك ؟

إنّ التـجـربة لديه تختلف عنها لدى هوبز ١٥٨٨ ـ ١٦٧٩ وكـوندياك ١٧١٥ ـ ١٧٨٠ الذي أرجـعـا المعـرفـة إلى الحـواس فـقط، فـهي عنده نتيجة مصدرين هما : الحـواس والعـقل، وهذا يعني أن لوك لا ينفي أثر التفكير في تكوين المعرفة، أن المعرفة تعـتـمـد على (التجربة الحسية) وعلى الإحساس، فالإنطباعات الحسية تُقدم إلى العقل، الذي هو مـثل الصـفـحـة البـيـضاء، وعلى (التجربة الداخلية) التي تعتمد على التفكير وتقوم على ربط إحساسات الحواس فيما بينها .

---

(١) ترجمة إلى اللغة العربية د. أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٣ .
(٢) د. عـزمي إسـلام : جون لوك، ص ١٨٣، دار الثـقـافة للطباعة والنشر، القاهرة، بيروت، بدون تاريخ (طبعة تجارية) .

ومن منظور لوك نلاحظ أن التجربة تستند إلى الملاحظة، والأخيرة تنقسم إلى :

١ ـ ملاحظة خارجية/موضوعية .

٢ ـ ملاحظة داخلية/ذاتية .

إن الأولى تعتمد علي تلقّي الإنسان للمدركات الحسية الخارجية الموضوعية بينما الثانية تقوم على ملاحظة الإنسان لعملياته العقلية الداخلية، ولكل ما يدور في ذهنه من أفكار وانطباعات بحيث تكمّل كل منهما الأخرى فتتم المعرفة(١) .

لقد أفضى إعتماد لوك على مصدرين للمعرفة إلى ما يعرف بـ : التجريبية النقدية Critical Empiricism التي ترد أصل المعرفة إلى التجربة والتي تبدأ بالإحساس بينما تأتي وظيفة العقل في تكوين الأفكار وبخاصة الأفكار المركبة لاحقاً .

إن هذا التقسيم إلى مصدرين إمتدّ إلى كانط حيث تعتمد التجربة هي الأخرى على معطيات الحواس وعلى الصور الموجودة في الذهن قبلياً، إلا أنّ نقديّة كانط هي : نقدية مثالية Critical Idealism (٢) لإعتماد المعرفة فيها على المقولات الأولية الموجودة في العقل التي تعدّ مثل الأطر الفكرية التي تصبّ فيها كل الإنطباعات الحسية وهذا ما يُميز لوك من كانط .

إن (المعرفة عند لوك يمكن ردها إلى مجموعة من الأفكار البسيطة التي لم تتكون في العقل إلا بناء على التجربة والخبرة، بينما لا يمكن رد المقولات العقلية عند كانط إلى التجربة، وإنما كل ما يمكن رده إلى الخبرة والتجربة عند كانط هو المادة التي تصب في هذه القوالب أو الإطارات الفكرية ـ أي الإنطباعات فقط ـ وهذا ما جعل نقدّية لوك تجريبية، وجعل نقدية كانط مثالية)(٣) .

لقد إعتمد كل من لوك وكانط على التجربة في المعرفة، إلا أنّ (المعرفة عند كانط

---

(١) د. عزمي إسلام : جون لوك، ص ٥٢ .

(٢) د. عزمي إسلام، المصدر السابق، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١، وللمزيد حول العلاقة بين كانط ولوك انظر:

- Weldon : Kant's Critique of pur reason, P. 28 - 35.

(٣) د. عزمي إسلام : جون لوك، ص ٢٠١ .

تبدأ مع التجربة (with) بينما تنبع المعرفة من (from) التجربة عند لوك[1] .

لقد (تأثر كانط بلوك بشيئين أساسيين :

الأول : تصـور لوك للنقـد، أي أن الوظيـفـة الرئيـسة للفلسفة هي تمحيص آراء السـابقين وتطهير الأرض الموروثة قـبل محاولة إقـامـة بناء جديدة، ثم تحدى لوك الفلسفات العقلية والتوكيدية السابقة .

الثاني : ضرورة البدء بالخبرة الحسية لإقامة أي بناء معرف)[2] .

ب ـ بعـد لوك يأتي دافيد هيوم في إطار الإتجاه التجريبي (الذي سار على هدى سلفه لوك، لكنه ذهب بأفكار هذا الأخير إلى نتائجها المنطقية) (٣)، فهو ينطلق في دراسته المعـرفـيـة من ميدان آخر ربما لم يركز عليه لوك كثيراً، (فهو لا يقتصر على بيان طبـيـعـة الأفكار القـائمـة في العقل كما قنع بذلك «لوك» وإنما يعنيه من دراسته الأفكار أن يتـبين الإنطبـاعـات الحـسية والفكرية التي صدرت هذه الأفكار منها، وهو ينقد الأفكار ليتحقق من مشروعيتها وليتأكد من موضوعيتها) (٤)، وإذا كان الأمر هكذا فما هو البناء الأساسي للمعرفة كما هو عند هيوم ؟

لقد نظر هيوم في مجمل إدراكاتنا Perceptions التي في الذهن فوجدها تنقسم إلى:

أولاً ـ الإنطباعات أو الإنفعالات Imperessions، وهي تنقسم بدورها إلى :

أ ـ إنطباعات الإحساس Imperessions of sensation

ب ـ إنطباعات التفكير Imperessions of reflection

ثانياً ـ الأفكار أو المعاني Ideas or thoughts، وهي تنقسم كذلك إلى :

أ ـ أفكار الذاكرة Ideas of the memory

ب ـ أفكار الخيال Ideas of the imagination

---

(١) - Gibson : J. Locke's Theory of Knowledge P. 312

أورد النص : د. عزمي إسلام جـ : المصدر السابق، ص ٢٠٣ .

(٢) د. محمود زيدان : كنط وفلسفته النظرية، ص ١٧، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٦ .

(٣) د. صالح الشمّاع : مشكلات الفلسفة من حيث نظرية المعرفة والمنطق، ص ٦٦ .

(٤) د. الشنيطي : المعرفة، ص ١١٧، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣، القاهرة، ١٩٦٢ .

ثالثاً ـ العلاقات The relations :

وحـول هذه الأنواع من الإدراكات يرى هيوم :

١ ـ إن الإنفـعـالات هي (الظواهر الوجـدانيـة الأولية، أو هي إدراكاتنا القوية البارزة، مـثل إنفـعـالات الحواس الظاهرة كاللذة والألم وأنفعالات التفكير التي تحدث تبعاً للذة والألم كـالمحـبـة والكراهية والرجاء والخوف والمعاني وصور الإنفعالات لدى كانط أضعف منها) (١) عند هيوم .

٢ ـ ويختلف (الإنطبـاع عن الفكرة تبـعاً لمراتب كل منهما في القوة والحيوية وهما فيما عـدا ذلك متشابهان، فكل فكرة تبدو وكأنها إنعكاس لانطباع، بل أن كل فكرة لابد وأن تطابق إنطبـاعـاً، وكما تكون الإنطبـاعات والأفكار بسيطة تكون كذلك مركبة والأفكار البـسـيطة مطابقـة تامة في جميع الأحوال لإنطباعات بسيطة مماثلة لها، ولا كـذلك الشـأن في الإنطبـاعات والأفكار المركبة، فكثير من هذه الأخيرة ليس لها أبدا إنطبـاعات مطابقة لها، وكثير من الإنطباعات المركبة لا يحصل لنا منها نسـخ مطابقـة من الأفكار المركبة، ولكن ما دمنا تبينا أن جميع الأفكار البسيطة مماثلة للإنطباعات البسيطة، وما دامت الأفكار والإنطباعات المركبة تتألف من هذه وتلك، فـلنا أن نسلم بعـامـة بأن هذين النوعين من الإدراك أي ـ الإنطبـاعـات والأفكار يتطابقان) (٢) .

٣ ـ أمـا عن مـصادر الإنطباعات والأفكار فأن «النوع الأول ينشأ في النفس أصلاً من علل مجهـولة، أمـا النوع الثاني فيصدر إلى حد كبير عن أفكارنا، وذلك على النمط الآتي :

(ينطبق إنطبـاع مـا بادىء ذي بدء على الحـواس ويجعلنا ندرك حـرارة ضمأ، أو جـوعاً أو ألماً، وثمة نسخة من هذا الإنطباع يحصل عليها الذهن وتظل الفكرة عن

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٧٣، دار القلم، بيروت، من دون تاريخ .

(٢) - Hume : A Treaties of Human Nature, P. 3.
أورده د. الشنيطي : فلسـفـة هيوم بين الشك والاعتقاد، ص ٦٨، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ : ١٩٥٧ .

اللذة أو الألم تولد في النفس إنطبـاعـات جديدة بالرغبة والنفور وبالألم والخوف، هذه الإنطبـاعـات يمكن أن-ندعوها (إنطباعات التفكير)، لأنها مستمّدة من الفكرة، وهذه الإنطبـاعـات تُنسخ من جـديد بواسطة الذاكـرة أو الخـيال وتصـير أفكاراً، وهذه تؤدي بدورها إلى نشـوء إنطباعات وأفكار أخرى حتى أن إنطباعات التفكير ليـست سـابقـة على الأفكار المطابقـة لها فحسب، بل لاحقة لإنطباعات الإحساس لأنها مستمدة منها)[1] .

٤ ـ تظهـرنا التجربة على أنّ الإنطباع حين يمثل في الذهن يتخذ بعد ذلك مظهره فكرة، ويمكن أن يحدث هذا على منوالين مختلفين :

الأول : أمـا عندمـا يحتـفظ في مظهـره الجـديد بدرجـة عظيمة من حيويته الأولى فـيكـون وسـطا، بين إنطبـاع وفكرة، والملكة، هنا، التي نسـتـعـيـد بها انطباعاتنا على المنوال الأول هي (الذاكرة) .

الثـاني : وأمـا حين يفقد هذه الحيوية فقداً تاماً ويغدو فكرة خالصة، والملكة التي نستعيد بها إنطباعاتنا هنا على هذا المنوال هي (الخيال)[2] .

ثمـة إخـتـلافـات بين (أفكار الذاكرة) و (أفكار الخيال)، فالأولى أكثر غنى بصور الحـيـاة وأكـثر قوة من الثانية، كما أنّ أفكار الذاكرة هي عبارة عن نسخ مطابقة للإنطبـاعات في ترتيبها ووضعها وخصائصها، بينما أفكار الخيال أكثر قدرة على اللعب والتنوع والحرية في الحركة والتموضع .

٥ ـ ينظر هيـوم إلى أفكاره فيراها دائمـة الاتصـال والانفصال بعضها مع بعض وقوة الخـيـال هـي الـتـي تقـوم بربط هذه الفكرة بهذه أو تلك ويسـتـحـيل أن تكون المصـادفـة وحـدها هي التي تعمل على ربط أشتات الأفكار المفككة التي تصل إلى الذهن، (وهنا لابد من وجـود) أسـاسَ لربط الأفكار وقـاعـدة تتـصل بمقتضاها فكرة بفكرة أخرى[3] .

---

(١) هيوم، المصدر السابق، ص ٧ ـ ٨ من النص الإنكليزي، والشنيطي : المصدر السابق، ص ٧١ .
(٢) د. الشنيطي، المصدر السابق، ص ٧١ .
(٣) د. زكي نجـيب محمـود وأحمد أمين : قـصـة الفلسفة الحديثة، جـ١، ص ٢٣٦، مطبـعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦ .

إنّ هذا الأســاس أو القـاعدة هوَ قانون التداعي The law of Association أي : (مجمـوع الروابط بين عناصر النص التي يتـسبب ظهور أي منها في تذكر عناصر أخـرى مـرتبطة به في ظل ظروف معينة، ويظهر التداعي خلال التفاعل بين الذات والموضوع واحداً من النتاجات الأولية لذلك التفاعل ويعكس الروابط الحقيقية بين الأشياء والظواهر وهو شرط ضروري للنشاط الذهني ...)[1] .

لقـد أولى هيـوم هذا القـانون أهميـة كبرى، فله من الأهمية في الطبيعة البشرية ما (لقـانون الجـاذبيـة) في العلم الطبيعي، وكما أن (نيوتن) يستنبط قانون الجاذبية من مـشـاهدة الظواهر الطبيعية فكذلك يستنبط هيوم قانون التداعي من ملاحظة الظواهر النفسية[2] .

إنّ لهذا (التداعي بين الأفكار أسساً ثلاثة هي : التشابه Resemblance والتقارب أو (التجاوز) الزمني أو المكاني Contiguity ورابطة العلة بالمعلول Cause and effect، أمـا التـشـابه فـهـو أسـاس كل العلوم التي ترتكز على البرهان، كالحساب والجبر والرياضـة بعامة لأن قضايا الرياضة يدركها العقل بمجرد الفكر من دون أن يعـتـمـد في ذلك على مـا هو موجود في زمان أو في مكان، فلو فرضنا مثلاً أن ليس في الطبـيـعـة كلها مربع ولا دائرة، فذلك لا يمنع الحقائق العقلية التي نثبتها بالدليل أو ندركـهـا بالبداهة عن المربع أو الدائرة، وأما العلاقة الزمنية أو المكانية فـتـقوم على أساسها علوم الطبيعة وعلى السببية يعتمد كل ما له علاقة بالحوادث التي تقع في تجـارب الحـيـاة، وهذه السـببية هي أوسع الروابط الثلاث إنتشاراً وأشـدّها إتصـالاً بالحياة العادية، فكل ما يقع من حوادث بين الأشياء إنما يحدث وفق قـاعدة السببية، ولهذا فإن هيوم يختصها بشطر كبير من بحثه، فهو يحللها تحليلاً دقيقاً ينتهي به إلى القول بأنِ الإنسان لا يدري شيئاً عن الرابطة بين العلة ومعلولها) [3]، وأنها نتـاج مـهّجن من الخـيـال الذي أخصبته التجربة، وأستنتج هيـوم أنّ العـقل ليـست له ملكة قـادرة على تصـور هذه العلاقات، ولا حتى على

---

(١) روزنثال : الموسوعة الفلسفية، ص ١١٩، دار الطليعة، بيروت ط٣، ١٩٨٣ .
(٢) الشنيطي، المعرفة، ص ١١٩ .
(٣) زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

تصـورها بعـامة، لأن تصوراتها لن تكون إذاك غير مجرد أوهام، وبناء على ذلك فإن هذه المعـاني التي يزعم العـقل أنها قـبلية ليست غير تجارب مألوفة قد زُوّر ختمها كما يقول كانط[1] .

٦ ـ إعترف كانط أن ديفيد هيوم أيقظه أولاً من سباته الدوجماطيقي ووجّـه بحوثه في الفلسـفـة النظرية وجـهة جديدة تماماً، واعترف أنه يدين لهذا الرجل النابه بأول شعاع من النور [2]، وإذا كـان هذا الاعتراف يدل على عـمق أخلاق كانط ونزاهته وتواضــعــه من جـهة، فإنه، من جهة ثانية، يدل على مدى أثر هيوم في كانط، فهو قـد قاد سفينة المعرفة إلى مرسى الشك وتركها هكذا فجاء كانط وأعاد المكانة إلى هذا الشك البـعـيـد والنظر فيه واستثمر ما فيه من إمكانات الإنطلاق بسفينته إلى مـراس آخـر فأصـاب ما فعل، ولكن باتجاه جديدة، اتجاه فلسفي يعبر عن قدرة ابداعية تأريخية كبيرة في تأريخ الفكر الفلسفي بعامة ونظرية المعرفة بخاصة .

لقـد (تأثر كانط بهيوم في مسائل عديدة، ومنها مثلاً : تصور الانطباعات الحسية ووظيـفـتـها وخصائصها، ومصادر المعرفة، وتصور العلية والتمييز بين «قضايا العلاقات» و «قضايا الواقع»، لكن كانط وجّـه ضرباته النقدية في هذه المسائل بعد أن كوّن لنفسه موقفاً معرفياً مستقلاً)[3] .

لقـد رأينا أنّ النقـد عند (لوك) بدأ بتـحليل الأفكار ، ورأيناه عند (هيـوم) قد بدأ يبـحث ضرورة هذه الأفكار، لكنه عند (كـانط) بدأ من النقطة نفـسـهـا التي بدأ منها هيـوم، إلا أنه إقترنن بمـحاولة وضـع حدود جديدة للمعرفة الإنسانية، وهذا يعني أنّ كـانط إسـتـثـمر محاولات لوك وهيوم في النقد لكنه طوّرها بمنظوره الخاص، المنظور النقدي الجديد .

---

(١) كانط : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٤٤، تر : د. نازلي إسماعيل حسين، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٦٧ .
(٢) كانط : المصدر السابق، ص ٤٨، وأنظر : برهييه : تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ١١٨ .
(٣) د. محمود زيدان : كنط وفلسفته النظرية، ص ١٩ .

٣ ـ الإتجاه العقلي في المعرفة :

أ ـ إذا أردنا أن نتعرف على الإتجاه العقلي في تفسير المعرفة فلا بد لنا أن نبدأ مع رينه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ الفيلسوف الفرنسي والمفكر الرياضي الذي سعى في فلسفته إلى إعتماد العقل أساساً في تفسير مشكلة المعرفة (فالمعرفة الواضحة هي المعرفة العقلية، وهي المعرفة التي تنتظم الأفكار الواضحة المتميزة) (١)، وقد قسم ديكارت الأفكار إلى ثلاثة أنواع هي[٢] :

١ ـ أفكار فطرية في العقل .

٢ ـ أفكار غير فطرية تأتي من الخارج إلينا .

٣ ـ أفكار نخلقها نحن خلقاً .

إن (المعرفة الواضحة هي المعرفة الحاضرة الجلية أمام ذهن منتبه، وعلى ذلك نقول ـ والقول لديكارت هنا ـ أننا نرى الموضوعات بوضوح حين تكون ماثلة أمام أبصارنا، فتؤثر فيها تأثيراً قوياً وتجعلها مستعدة لرؤيتها، والمعرفة المتميزة هي المعرفة التي بلغ من دقتها وأختلافها عن كل ما عداها أنها لا تحتوي في ذاتها إلا ما يبدو وبجلاء لمن ينظر فيها كما ينبغي)[٣] .

بين لوك من ذي قبل وديكارت هنا إنتهى الأمر إلى جوتفريد ليبنتز ١٦٤٦ ـ ١٧١٦ «الذي لم يعجز عن جمع المتناقضات في وحدة متسقة فقد عهدناه يوّفق بين الآراء المتضاربة ولا يدّخر في هذا السبيل جهداً، وقد رأيناه في نظرية الذرات الروحية يوفق بين مذهبي (التعدد) و(الواحدية)، (وها هو ذا يزيل ما بين «لوك» رأيه في انعدام الآراء الفطرية، ويرى أنّ للعقل أساساً من المعلومات يستحيل أن يحصل من دونه شيئاً من المعرفة، فهو يولد حاملاً بين طياته معرفة كامنة

---

(١) الشنيطي، المعرفة، ص ١٠٢ .

(٢) د. زكي نجيب محمود : نظرية المعرفة، ص ٧٢، مطابع وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٥٦.

(٣) ديكارت، المبادىء، مبدأ ٤٥، ص ٨٤، تر : د. عثمان أمين، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٥٦ .

بالقـوة وهذه لا تصل إلى درجـة الشـعور إلا إذا أيقظتها التجارب التي تنفذ إليها عـن طـريـق الحـواس فـليس من شك في أنّ الطفل يولد مـزوداً بمـيل واسـع إلى اسـتطلاع الحقيقة قبل أن يصادف في حياته أية تجربة ويكفي أن تكون لديه تلك القـوة العـقليـة وحـدها ليجوز لنا القول ـ بأن له معرفة فطرية، وإذن فيجب أن نكمل نظرية لوك التي يلخـصـهـا في هذه العـبارة : «ليس ثمة في العقل أثر إلا ما تبعته الحواس» بأن نضيف إليها هذا التعديل «... إلا العقل نفسه»)[1] .

ومـثلما ينتـقـد ليـبنتز لوك فإنه كذلك ينقد رأي ديكارت في الأفكار الفطرية، فلا يـذهب إلى أنّ المعـرفـة التي تولد مع الطفل تكون عند الولادة محددة وواضـحـة (إنما يعـتقد ليبنتز أنّ تلك المعرفة تكون بادىء الأمر سابحة في اللاشعور، وتظل غـامـضة مهوشة حتى تدركها التجربة، فتوقظها من مكامنها، وتزيل ما يغشاها من غـمـوض بما تنشره على معالمها من ضوء، فحياة العقل عبارة عن تقدم مطرد مـسـتـمر من إدراك مهوش مضطرب إلى إدراك دقيق محدود، شأنه في ذلك شأن كل ذرّة في الكون، حياتها إنتقال من الغموض إلى الوضوح في الإدراك)[2] .

لقـد وافق ليـبنتـز ديكارت في الآراء الفطرية وجعل كل الآراء تولد فطرية كما أنه وافـق لـوك على أنّ جميع التـجـارب تصل إلى العـقل بواسطة الحـواس وتمارس تأثيراً كـبيراً في بناء المعرفة (والفرق بينهما : أنّ ليبنتز لا يرى أن هذه المعرفة قد إسـتحدثت بل إنتقلت من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل أو قل أنها إنتقلت من حـالة الخـمـود إلى حـالة اليـقظة والنشـاط، وهكذا إستطاع ليبنتز أن يقرّب بين وجهتي النظر إلى حد الإندماج)[3] .

لقـد (إنتـهى ليـبنتـز إلى القـول بأن المعرفة فطرية ومكتسبة، وفطرية بمعنى أن الذهن لديه القـدرة على مـعـرفـتـهـا وأن هذه المعـارف تنبـثق من داخل الوحدة

---

(١) أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة، جـ١، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .
(٢) د. أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة، ص ١٩١ .
(٣) أحمد أمين، وزكي نجـيب محمـود : المصدر السابق، ص ١٩٣، وحـول نقده لكل من رأي لوك وديكارت أنظر : ليـبنتـز : أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، ص ٣٨ ومـا بعدها وص ٥٢ وما بعدها، تر : د. أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٤ .

العنصرية ومكتسبة بمعنى أنها تتأثر بما تثيره إدراكاتها للعالم الخارجي وما تمدها به تجاربها من مادة خام تتيح الفرصة لنقل ما لديها من أفكار موجودة بالقوة إلى الوجود بالفعل، تتقبل الوحدة العنصرية بإستمرار الإنطباعات الخارجية ثم تحليلها بفضل ما لديها من قوة نشطة إلى معارف وأفكار، ولكن هذه الأفكار لا تكون واضحة ومتميزة منذ البداية، بل تبدو لأول وهلة مختلطة وغامضة ولن تكتسب الوضوح والتميز إلا عندما تصبح موضوع تفكير الوحدة العنصرية ووعيها)[1].

يميز ليبنتز بين أربع درجات من المعرفة، هي[2] :

١ ـ المعرفة الحدّسية .

٢ ـ المعرفة الإستدلالية .

٣ ـ المعرفة الإيمانية .

٤ ـ المعرفة الحسية .

إن المعرفة الحدسية هي المعرفة الأكثر وضوحاً ودقة من منظور ليبنتز وتأتي من بعدها المعرفة الإستدلالية وهي أقل وضوحاً وأقل منها المعرفة الإيمانية وهي المعرفة الأكثر قرباً من الإحتمال وتأتي المعرفة الحسية بالدرجة الأخيرة، إلا أن ليبنتز يميز بينها وبين الأحلام فهناك فارق بين أننا نحلم في النار وبين أننا فعلاً فيها .

لقد كانت فلسفة التنوير التي عبر عنها الألماني كرستيان فولف ١٦٧٩ ـ ١٧٥٤ وأتباعه هي التربة التي نمت عليها فلسفة كانط، وأهتدوا فيها قبل كل شيء بفلسفة ليبنتز، وأستعّدت منها عصارة حياتها الأولى، والواقع أنه يتعذر علينا بغير ليبنتز أن نتصور كانط وفلسفته ... فالمتأمل لفلسفة كانط النظرية والعملية لن يخطىء سماع أصداء عديدة من ليبنتز : القضايا التحليلية والتركيبية، مملكة الطبيعة ومملكة الغايات، حقائق الواقع التجريبية الحادثة وحقائق العقل الأبدية

---

(١) ليبنتز، أبحاث جديدة، ص ٦٣ .
(٢) المصدر السابق، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

الضرورية الإهتداء بالمناهج الرياضية والعمْلية لأحكام المناهج الفلسفية والميتافيزيقية .

ويكفي أن كانط قد تأثر إلى أبلغ حد بكتاب ليبنتز (أبحاث جديدة في الفهم الإنساني) وذلك في كتابه الصغير الذي يحمل بذور نظريته في الإستطيقا الترانسندنتالية أو الزمان والمكان ويُعد أرهاصة حقيقية بتحوله إلى الفلسفة النقدية، وعلامة بارزة على طريق تحوله العقلي وهو رسالته اللاتينية المهمة : (صور ومبادىء العالمين الحسي والعقلي، ١٧٧٠) فقد عبرّت هذه الرسالة الصغيرة عن تخلصه النهائي من تأثير النزعة العقلانية القطعية التي توصف عادة بفلسفة فولف وليبنتز، ومزاعمها الطموح المتعجلة عن قدرة العقل البشري على معرفة الوجود كما هو في ذاته، كما عبرّت عن الإرتباط الوثيق بين الحس وطبيعة الإنسان المتناهية المحدودة، وكلها إشارات مهمة إلى «التحول الكوبرنيقي» والثورة النقدية التي أعلنها في كتابه (نقد العقل المحض)، بعد ذلك بأحد عشر عاماً (١)، ومع ذلك إذا كان لوك يعد أباً للنظرية الإنكليزية في المعرفة، فإن ليبنتز يعد أبا للنظرية الألمانية في المعرفة كما يقول أرش إديكس(٢) .

ب ـ لقد تعرّف كانط إلى ليبنتز بوساطة (فولف)، فتابع الثالث فلسفة الثاني ويعرف فولف الفلسفة بأنها : علم الأشياء الممكنة، ومعيار الإمكان هي قابلية التصّور Denkbarkeit، فالممكن هو الذي يقبل التصور، هو ما لا يناقض نفسه ولهذا تمتد المعرفة الفلسفية لتشمل كل الأشياء التي يمكن تصورها(٣) .

لقد أخذ كانط بفكرة الإمكان هذه بحذافيرها، فبحثه يقوم على (إمكان التجربة)

---

(١) د. عبد الغفار مكاوي مقدمته لترجمة «الموثادولوجيا»، ص ٦٩ ـ ٧٠، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٧٤ .

(٢) - Erich Adickes : Kantstudien, S, 25 Kiel und Leipzing 1989 P5.
أورده د. بدوي : إمانويل كنت، ص ١٢٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٧.
وللمزيد أنظر : د. نازلي : النقد في عصر التنوير (كنت)، ص ٧٤، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦ .

(٣) د. بدوي : أمانويل كنت، ص ١٢٤، للمزيد أنظر :
- Weldon, T.D. : Kant's Critique of pur reason, P. 47. Oxford, 1958.

ويرى أن المسألة العليا في الفلسفة المتعالية هي : كيف تكون التجربة ممكنة ؟[١]

وهدف فولف من الفلسفة إقامة نظام أو مذهب من المعرفة القبلية يشمل كل الموضوعات ويسمي هذا النظام : الفلسفة [٢] وهو لا يقوم إلا على أساس عقلي .

ج ـ بعد فولف توجّه كرسيوس Crusius ١٧١٢ ـ ١٧٧٥ إلى نقد قانون عدم التناقض، وهو ما لجأ إليه كانط كما سنرى في الفصل السادس من هذا الكتاب، لقد تبين لكروسيوس أن الفكر سيظل عقيمًا إذا إستمر تحت سيادة مبدأ (عدم التناقض) وقياداته، وغير كاف لتكوين موضع التجربة، لكنه لم يعثر على أداة أخرى لملء النقص اللهم إلا الإدراك الحسي، وهو أساس وإن لم يستطع أن يواجه به المذهب العقلي في كفاحه ضده، لأن العيان الحسي الساذج لا يغني في تفسير المعرفة العقلية[٣].

د ـ وفي إطار المدرسة العقلية الألمانية يرى لمبرت Lambert ١٧٢٨ ـ ١٧٧٧ (أن معرفة الواقع تستلزم تدخل عناصر قبلية وأخرى بعدية) [٤]، أن هذا الإستلزام الذي يراه لمبرت يمكن أن يؤدي إلى القول بأن (ما أثاره لمبرت عن مشكلات نظرية المعرفة يمكن أن يعد السلف المباشر لكانط في الفلسفة النقدية) [٥]، وهو ما يدل على (أن تيار نقد المعرفة أو الفلسفة النقدية لم يبدأ فقط مع كانط، وإنما تقوى فقط على يديه وأتخذ سبيلاً جديدة) [٦] أفرز فيما يعرف بعد بالمعرفة النقدية، أو نظرية المعرفة النقدية، فما هي العناصر البنائية والتكوينية لنظرية المعرفة النقدية لدى كانط ؟

---

(١) - Riehl, A : Der Philosophische Kriticismus, 1, S, 166. Leipzig, 1976.
أورده د. بدوي، المصدر السابق، ص ١٢٥ .

(٢) - Erich Adickes : Kantstudien, S, 25 Kiel und Leipzing 1895.
أورده د. بدوي : المصدر السابق، ص ١٢٣ .

(٣) د. بدوي، المصدر السابق، ١٣١ .

(٤) د. بدوي، المصدر السابق، ١٣١ .

(٥) د. بدوي، المصدر السابق، ١٣١ .

(٦) د. بدوي، المصدر السابق، ١٣١ .

لقـد وجـد كانط أمامه كل هذا التراث النقدي فما كان عليه أن يفعل ؟ لقد آثر ألا يفـرط بأحـد، وألا يبخس حق أحد من الفلاسفة من قبله، لكنه وضع نصب عينيه أنه لابد من أن يخطو خطوة إلى الأمـام ويدفع مـقـدمـات النقد لدى الفلاسفة من قبله إلى النتـائج المتـوخـاة، فـهـو لم يقف عند هذه النتـائج وحـسب، إنما دفـعها إلى غاياتها القـصـوى في أسئلة إستراتيـجـية في نظرية المعرفة، فكيف يمكن تأسيس المعرفة على مـفـاهيم قـبليـة لها القـدرة لأن تنطبق قـبلياً على الواقع الموضوعي ؟ ثم كيف يمكن للأحكام التركيبية القبلية أن تنطبق على العالم الموضوعي، وأخيراً كيف تكون الرياضة البحتة ممكنة ؟ وكيف يكون علم الطبيعة المجرد ممكناً ؟

إن كـانط أجـاب على أسئلة من هذا القـبيل، وحقق تقدماً كبيراً في ميدان الفلسفة بعامة ونظرية المعرفة بخاصة، فكيف تم له ذلك ؟

هذا ما يمكن أن تجيب عنه الفصول الآتية .

الفصل الأول

مَلكة الحِس وَالمكان

- المدخل
- مشكلة المكان قبل كانط
- مشكلة المكان في فلسفة كانط «المرحلة قبل النقدّية»
- المكان في فلسفة كانط «المرحلة النقدّية»
- الخلاصة

المـــــــدخل :

يعـرّف كـانط الإسـتطيـقا الترانسندنتالية (*) بـأنهـا (عـلم كل مـبـادىء الحس القبليـة) (١) ويعـتـقـد أن (الزمـان والمكان هنا المبدآن الأساسيان لهذا الحس، وأنهما، عـلاوة على ذلك مـصـدران مـعـرفـيـان يمكن أن نسـتمد منهما قبلياً معارف تأليفية

(*) تعرف الاستطيقا The esthetic بانها : علم الجمال، لكنهـا لدى كـانط أخـذت دلالة جديدة، إذ يترجم بعضهم كلمة الاستطيقا عند ورودها في نصوص كانط بـ «علم الجمال»، ولا شك أن لها هـذا المـعـنـى في مـرحلة تاليـة على كـانط لكنهـا حـافظت لديه على مـعناها الاشـتـقـاقي أن (ايستطيقوس) في اليونانية، تعني من له القدرة على الإحساس، أنظر : جورج طرابيشي، ترجمته لكتاب أميل برهييه : تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ٢٥٣، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٣، فجاء كانط واسـتخدمه بمعنى : ملكة الحس، أو الإحساس، لكنه عاد في كتابه : نقد ملكة الحكم وأستخدمه بمـعنى الحكم التـقـويمي الخـاص بالجـمـيل (مـراد وهبـة وآخـرون : المعجم الفلسفي، مادة (استطيقا)، ص ٢٠٤ .

أما مصطلح الترانسندنتالي Transendental فإن كانط يميز بينه وبين مصطلح Transendent = المفـارق، يقـول في (نقـد العـقل المحض) : أن (الترانسندنتـالي والمفـارق ليسا الشيء نفسه، ص ١٨٥)، فـالأول هو ذلك الذي يجعل التـجـربة ممكنة من الناحية القبلية، أي : هو الشرط الأول لقيامها، أما (المفارق) فهو : الذي يتجاوز ويتخطى حدودها، أنظر : شتروفة، فلسفة العلو، ص ٧٦، تـرجمة عـبـد الغـفـار مكاوي، بمـعنى أن المعـرفـة المفـارقـة غير ممكنة، بينما المعـرفـة الترانسندنتايه هي معرفة ممكنة، انظر :

- Ewing : A short commentary on kant's critique. P. 25.

ومن زاوية نظرية المعـرفـة نلاحظ أن كـانط يدل به على : وعي الإنسان، وعلى قدراته المعرفية فـالوعي الترانسندنتـالي وعي «محض» متساو لدى كافة الناس، وهو ينطوي على أشكال قبلية سـابقة على التجربة ومستقلة عنها، مثل المكان والزمان، أولية في الوعي هي التي تجعل التجربة والمعـرفـة بعـامـة أمراً ممكناً، أما المصطلح الثاني، أي : المفارق فيدل عند كانط على ما يتجاوز حـدود الوعي والعـمليـة المعـرفـيـة مثل الشيء في ذاته، أنه يوجد خارج إطار التجربة البشرية، وتجـدر الإشـارة هنا أن كـانط لا يطلق إسم الترانسندنتـالي على كل معرفة قبلية، إنما على تلك المعـرفـة التي بها نعـرف أن بعض التصورات سواء كانت حدوسا Intutions، أم مفاهيم Con-cepts هي ممكنة التطبـيق قبلياً وحسب، وكيف هي كذلك، المحض : ص ٧٧، أن الترانسندنتالي إذن هو : الذي يتـيح للذات العـارفة أن تحدد الموضوع قبلياً، مراد وهبة المذهب عند كانط، ص ٧٧، تر : د. نظمي لوقا، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٤ .

أمـا الإسـتطيـقا الترانسندنتالية فهي، حسب كانط : علم كل مبادىء الحس القبلية، وهي كعلم تمثل القـسم الأول من تعليم العناصر الترانسندنتـاليـة في مـقابل القسم الذي يتضمن مبادىء الفكر المحض، والذي سيسمى بالمنطق الترانسندنتالي، أنظر : المحض، ص ٦٠ .

(١) كانط : نقد العقل المحض، ص ٦٠ .

متنوّعة) (١)، وأن (هذين المصـدرين القـبليين يعـينان فقط حدودهما، بوصفهما مجرد شروط لحسِّنا) (٢)، (بل هما ملازمان بالضرورة المطلقة لها) (٣) .

لقـد عمد كانط في فلسفته إلى تحديد عناصر البناء القبلي في المعرفة فوجد أن أغلب هذه العناصر يكتنفـهـا الغـمـوض والإلتباس، فهي تتضمن دلالات تجريبية بعدية من جـهـة، وأخـرى مـيـتـافـيـزيائية قبلية من جهة أخرى، مما يعني عدم وضوح البناء الأسـاسي لـنـظـرية المعـرفـة، فكان أن توجّـه إلى تحليل العناصر الجـوهرية في ملكة الإحـسـاس وهما المـكان والزمـان، لكنه ـ وهو يتـوجـه ـ إلى إمـعـان النظر في هذين المفـهومين لم يجد ما كان ممكناً أن يتسق مع ما يطمح إليه، فنظر إلى هذين المفهومين نظرة فاحصة، ولجأ إلى تفكيك Deconstruction دلالتهما ومعاينة ميدان إشتغالهما في العلم والفلسـفـة من دون أن يتـجـاوز مـعطيات كل من العلم والفلسفة في عصره مما دعـانا إلى أن نتـابع تطورات اسـتـعمال مـفـهـومي المكان والزمـان في عصره، وبيـان الاخـتـلافات التي استأنف بها كانط النظر من جديد في بناء نظريته النقدية في المعرفة في عـدد المكان والزمـان عنصرين قـبليين، ثم بيـان طبـيـعـة التـفسير الجديد وأصله وفـاعليـتـه الذي قـدمـه كـانط للمكان والزمان بوصفهما صورتين محضتين للحدس الحسي Sense Intution .

مشكلة المكان قبل كانط :

لم يكن كـانط أول فـيلسـوف يناقش مـشكلة المكان إذ تعـرّض فلاسفة اليونان والمفكرون الإسـلاميون إلى مناقشته من قبل وقدموا في ذلك تفسيرات عديدة تأرجحت بين الفـيـزيائيـة والميتافيزيائية، وفي العصور الحديثة تمت إعادة النظر في هذا المفهوم وظهـرت تفسيرات جديدة إذ بحث نيقولا القوساوي (١٤٠١ ـ ١٤٦٤) طبيعة المكان، وأعـتـقد أنه من إنتاج العقل ويمثل درجة من الحقيقة أدنى من العقل الذي خلقه، وفي مـقـابل هذه النتـيجة الفلسفية الصرف نرى أن جيوردانو برونو (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠)

---

(١) كانط، المحض، ص ٦٨ .
(٢) المصدر السابق، ص ٦٨ .
(٣) المصدر السابق، ص ٦٩ .

ينصرف أيضاً إلى مناقشة مسألة المكان من الناحية الفلكية، فيرى أنّ العبارات، (فوق) و(تحت) و(ساكن) و(متحرك) ليس لها معنى في عالم تستمر فيه الشموس والكواكب على الدوران إلى الأبد من دون أن تعرف أي مركز ثابت، وعلى هذا فالحركات كلها نسبية، والمكان والزمان المطلقان لابد أنهما من تلفيق الخيال .

(وكان لليبنتز ١٦٤٦ ـ ١٧١٦ آراء مماثلة لذلك فقد اعتقد أن المكان لا يوجد بذاته إنما بنسبته للأشياء، فالمكان ما هو إلا ترتيب الأشياء)[١] .

هذا يعني أن لا مكان مطلق، وبدلاً من ذلك ثمة تجاوز وانفصال وتعاقب مكاني، لأن المكان عبارة عن علاقة لها وجودها الواقعي[٢] .

وعلى النقيض من ذلك ذهب اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) إلى أن المكان ليس مجرد تابع للوعي بل هو موجود بذاته، وأتى بالفرضية العلمية التي ترى أن القياسات المطلقة للمكان ممكنة على الأقل في المبدأ[٣] .

من كل ذلك يعتقد السير جيمس جينز (٤) أن العصر الحديث قبل كانط قد إشتغل بأربعة معان متميزة للمكان هي :

١ ـ المكان التصوري :

وهو مكان الهندسة المجردة، ولا وجود له إلا في عقل الإنسان الذي يخلقه بالتفكير فيه، وقد عدّ اقليديا أم غير اقليدي، ثلاثي الأبعاد أو متعدد الأبعاد كما يشاء الإنسان وهو ينعدم من الوجود عندما يتوقف مبتكره عن التفكير به .

---

(١) جيمس جينز : الفيزياء والفلسفة، ص ٨٦ ـ ٨٧، تر : د. جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١ .

(٢) للمزيد انظر كتاب :

- Garnett : The Kantian Philosophy of Space, P. 56, Colombia University Press, New York, 1939.

(٣) جينز : الفيزياء والفلسفة، ص ٨٧. وللمزيد انظر كتاب (جارنيت) اعلاه الفصل الثاني، ص ١١ وما بعدها .

(٤) جينز : المصدر السابق، ص ٨١ ـ ٨٣ .

٢ ـ المكان الإدراكي الحسي :

هو مكان كـائن واع يمارس أو يسـجل إحساسات وينعدم من الوجود بمجرد أن تكف حواسه .

٣ ـ المكان الفيزيائي :

هو مكان الفـيـزياء والفلك، إذ المكان التـصوري والإدراكي الحسي كلاهما مكانان خـاصـان، فأحـدهما خاص بشخص يدرك بحواسه، ولكن العلم وجد أن النسق الذي تجـري عليـه الأحداث في العالم الخارجي يمكن تفسيره إذا إفترضنا أنّ الأشياء المادية قد وضعت إلى الأبد لتتحرك في مكان عام يشترك فيه كل المشاهدين .

٤ ـ المكان المطلق :

هو ذلك النوع الخـاص من المكان الفيزيائي الذي أدخله نيوتن ليجعل منه أساساً لنظامـه الميكانيكي، ... وهو مكان مطلق ... يظل دائمًا متماثلاً وغير قابل للحركة، وقد قابل بينه وبين المكان الإدراكي الحسي الذي وصفه بالمكان النسبي على أساس أنه بُعد، أو مقياس قابل للحركة من المكان المطلق الذي تحدده حواسنا .

لقـد أخـضـع كـانط هذه المعـاني إلى إختبار ودراسة شغلتاه طوال سنوات عديدة لأنه أراد أن يجعل من المكان مـفـهوماً مركزياً في بناء نظريته في المعرفة، وقد أفرغ في عـدد من دراسـاته وآراؤه في المكان وناقش فـيـهـا آراء كل من ليـبنتـز ونيوتن وهي مـرحلة مـا قـبل نقدية، أي المرحلة التي تسبق صدور كتابه (نقد العقل المحض) سنة ١٧٨١م .

مشكلة المكان في فلسفة كانط/المرحلة قبل النقدية :

إذا كـانت (نشأة المذهب النقـدي تعـود إلى العـقـد السابع من القرن الثامنْ عشر ١٧٧٠ ـ ١٧٨٠، فإن حـقـبة العشرين سنة التي سبقت هذا الإختمار حرّر فيها كانط عـدداً لا يسـتـهـان به من التآليف في موضوعات شتى من العلم الطبيعي أو الفلسفة، وتنم تلك المؤلفـات عن افتراقـه الجلي عن فكر ليـبنتز، وفولف، وتقدّمه في إتجاه التيار

الفكري الذي كـان غالباً على عصره، فقصد ذلك الضرب من المذهب التجريبي في كل ما هو قبلي)(١)، وكـان من الضروري لكانط وهو يمّهد لبناء مذهبه النقدي أن يعيد النظر في عـدد من التـفسيرات الخاصة بمفاهيم نظرية المعرفة، ومنها بخاصة مفهوم المكان، وقد شـهدت المرحلة قبل النقدية نقداً لآراء (نيوتن) من جهة وليبنتز من جهة أخرى .

لقـد عـدّ (نيـوتن) المكان وعـاء فـارغـاً يحوي الأشـيـاء، ولهذا الوعـاء طبـيـعة وخـصائص مطلقة لا تتأثر بنوعية الأشياء الموجودة فيه، أي أن الوعاء يحتفظ بجميع خـصـائصه ومهما كانت طبيعة الأشياء التي يحتوي عليها، ومهما كانت القوانين التي تضـبط تفـاعل هذه الأشـيـاء، لذلك يرى نيوتن أنّ وجود (الوعاء) سابق على وجود (المحـتويات) حتى لو أبيدت المادة الموزعة في انحاء المكان إبادة تامة لما مسّه أي تغيّـر أو تحـوّل، فهو يبقى دوماً على حاله، وكما سبق القول أن مكان نيوتن الثلاثي الأبعاد مطلق وضروري، ويبـدو لنا أن كـانط لا ينكر أنّ خـصـائص المكان ـ أياً كان نوعه ـ ضرورية، ولكن هذه الضرورة ليست مطلقة، بل هي نسبية بالقياس إلى نوعية القوانين الطبـيـعـية السائدة التي ينشأ عنها ذلك المكان، وحسب رأي كانط في هذه المرحلة من تفكيره الفلسـفي لا يجوز أن نشـبّه المكان بوعـاء لا يتأثر بما يحتوي عليه من أشياء كما فعل نيوتن لأنّ طبيعة المكان ليست مستقلة من نوعية الأجسام الموجودة فيه ولو تلاشت هذه الأجسام لتلاشى المكان معها(٢) .

لقـد رفض (ليـبنتـز) نظرية (نيـوتن) في المكان المطلق، وعلى العكس من ذلك قال بنسـبـيـة المكان، ورأى أنه عبارة عن علاقة (فالمكان لا يمثل أسمًا ملائمًا لأي موجود جـوهري من النوع الغـريب إنما هو عبارة عن بنية منطقية لظاهر الأجسام وصفاتها وعلاقاتها الخاصة)(٣) .

---

(١) برهيية، اميل : تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ٢٤٦، تر : جـورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط١، ١٩٨٣، وللمزيد حول آراء كانط في هذه التآليف انظر :
أوفي شـولز : كانط، ص ٨٥ ـ ١١١، تر : أسـعـد رزوق، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٥ .

(٢) د. صادق جلال العظم : نظريات المكان في فلسفة كانت، ص 36 منشورة في كتابه (دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة) دار العودة بيروت، ط٢، ١٩٧٤ .

(٣) - Broad. G. B : Kant/An Introduction, P. 50, London, 1978.

ولما كـان ليبنتز قد رفض (قانون القصور الذاتي) (١)، فإن هذا مـعناه أنه رفض العـمل بالمكان المطلق، لأن هذا ألقانون يتسق مع ما ذهب إليه (نيوتن) في المكان المطلق ويتناقى أصـلاً مع النظرية العلائقية للمكان .

وعلى الرغم من أن كانط قد أخذ بنظرية (ليبنتز) في المكان في مطلع حياته الفكرية لكنه تخلى عنهـا فـيما بعد مثلما تخلى عن نظرية نيوتن في المكان المطلق، ومن كل ذلك يسـتخلص الدكتور صادق جلال العظم (٢) ثلاث نتـائج تعبر عن آراء كـانط في المكان للمرحلة قبل النقدّية، وهي :

١ ـ إنّ خـصـائص المكانه وعـدد أبعـاده تعـتـمد على طبيعة المادة الموجودة فيه وعلى القوانين التي تضبط تفاعل جزئياتها .

٢ ـ إن وجود الأمكنة اللااقليدية ممكن .

٣ ـ إن المكان الوحيد الذي يمكننا تمثّله أو حدسه هو المكان الاقليدي .

المكان في فلسفة كانط/المرحلة النقدية :

مع (نقـد العـقل المحض) يتـخـذ البحث في إشكالية المكان اتجاهاً جديداً، إذ تمثل أفكار كانط في المكان والزمان ومجمل المسائل التي عالجها النضج الفلسفي لديه، وإذا كـان كـانط قـد بحث مسألة المكان في مواضع أخرى فإن الفارق الأساسي بينهما، أي بين مـعالجته في تلك المواضع وفي معالجته في (نقد العقل المحض) تكمن في (أن نظريته الأولى تسـتـخلص المكان، وعـدد أبعاده من خصائص المادة الموجودة فيه ومن قوانين تفـاعلهـا مع بعـضـها، بينما تستخلص النظريبة النقدية المكان من الحساسية، أي أن المكان في هذه النظرية يصبح صورة للحدس الخارجي)» (٣) .

في (نقـد العـقل المحض) يعـيد كانط طرح مشكلة المكان والزمان في أسئلة عديدة، فما المكان، ومـا الزمان هل هما من الكائنات المتحققة ؟ وإذا كان صحيحاً أنهما مجرد

---

(١) العظم : نظريات المكان ...، ص ٣٨ .
(٢) العظم : المصدر السابق، ص ٣٨ .
(٣) د. العظم : المصدر السابق، ص ٣٨ .

تعـيّنات، بل مجرد عـلاقـات للأشياء، فهل مما ينسب إليهما (هذه العلاقات) في ذاتها حـتى أن لم تكن محدسـة ؟ أمْ هما مما يلازم صـورة الحـدس وحدها، ويلازم أخيراً قوام Constitution ذهننا الذاتي الذي من دونه لا يمكن نسب هذه المحـمـولات إلى أي شيء ...»[1] ؟

ومن أجل الإجـابة عن أسئلة كـهـذه راح كـانط يُقسِّـم البحث في دراسة إشكالية المكان إلى قـسـمين هما : العرض الميتافيزيائي والعرض الترانسندنتالي، ولكن ما الذي يعنيه كانط بـ (العرض) .. ؟

يستخدم كانط اللفظ الألماني Erorterung الذي يعني المباحثة أو المجادلة قاموسياً للتعبير عن محاولة إيجاد (تصور واضح لكل ما ينتمي إلى مفهوم ما)[2] .

وقد ترجم سمث [3] ومولر [4] لفظ Erorterung إلى اللغـة الإنجليزية بلفظ مقابل هو Exposition الذي يعني : شرحاً أو بياناً تفسيرياً وغير ذلك .

ويبدو هنا أن اللفظ الألماني كما إسـتعمله كانط بدلالة المجادلة أو المناقشة يتطابق إلى حـد مـا ـ مع التـعـريف الذي قـدّمه لهذا اللفظ، وهو تعريف إجرائي يميل إلى فك الدلالات المتراكـمـة على مـفـهـوم ما، كما هو الأمر في مفهوم المكان، أن كانط، وحسب المعطيـات التي سنقـدمـهـا، يجادل في هذه المفـاهيم ويناقش مجال تداولها، ويزحزح إسـتقرارها ليفرغ منها محتواها الميتافيزيائي المتراكم حولها. وهو ما يسميه بالعرض الميتافيزيائي .

أولاً ـ العرض الميتافيزيائي لمفهوم المكان :

إذا كـان العـرض هو : محاولة لتـفكيك مفهوم معين من أجل الوصول إلى تصور واضح عنه، فإن العـرض الميـتافيزيائي لِلمكان هو محاولة : تفكيك المكان كمفهوم غير

---

(١) كانط، المحض، ص ٦١ .
(٢) المصدر السابق، ص ٦١ .
(٣) مترجم (نقد العقل المحض) إلى الإنجليزية :
- Kant : Critique of pure Reason. 0. 74 Tr : Smith, N. K. London 1950.
(٤) مترجم (نقد العقل المحض) إلى الإنجليزية :
- Kant : Critique of pure Reason. P. 414 Tr : Muller F. M, London 1881.

قبلي، وأستبعاد الدلالات البعدية المتراكمة حوله، وتقديمه كـ (معطى قبلياً)[1] .

لقـد سعى كانط إلى إزاحة السمات والخصائص البعَدية لمفهوم المكان جانباً، ونظر إليه بوصفه مجرد حدس قبلي Apriori intution، فكيف تم له ذلك ؟

١ ـ إن المكان ليس مفهوماً تجريبياً Empirical أستمَّد من تجارب خارجية ...، ثم أن تصور المكان لا يمكن أنْ يستمد بالتجربة من علاقات الظاهرات الخارجية، بل أن التجربة الخارجية عينها ليست ممكنة إلا بواسطة ذلك التصور .

٢ ـ إن المكان تصـور Representation ضروري قـبلي يشّكل أساساً لجميع الحدوس الخارجية Outer intutions، وهـو شرط لأمكان الظاهرات ليس كـتـعينّ تابع لها، إنما بوصفه تصوراً قبلياً يمثل أساساً للظاهرات الخارجية بالضرورة .

٣ ـ المكان ليس مـفـهوماً سياقياً (أو منطقياً) Discursive أو كما يقـال مفهوماً عاماً General Concept لعلاقة الأشياء بعامة، بل هو حدس محض Pure intution .

٤ ـ لا يمكن لأي مـفـهوم أن يفكر به Can be thought وكأنه يتـضمن ذاتياً كثرة لا مـتناهيـة من التـصـورات، فـالتـصـور الأصلي للمكان هو إذاً حدس قبلي وليس مفهوماً ...[2] .

ثانياً ـ العرض الترانسندنتالي لمفهوم المكان :

في العـرض الترانسندنتـالي يحاول كـانط أن يقـدم لنا تصـوراً واضحاً عن المكان ليس بوصـفه معطى قبلياً وممكناً كما كان الأمر في العرض الميتافيزيائي إنما بوصفه، أي المكان ـ (مبدأ Principles يمكننا من فـهم امكان معارف تأليفية قبلية أخرى)[3] ، ومن أجل ذلك حاول كانط أن يضع عدداً من الشروط الأساسية لعدّ المكان مبدأ للفهم، (وهي :

١ ـ يجب أن يكون المكان حـدساً Intution، لأنه من مجرد (كـون المكان مـفهوما) لا يمكن أن نستمد أي قضية تتخطى المفهوم .

---

(١) كانط، المحض، ص ٦١ .
(٢) كانط، المحض، ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٢ .

٢ ـ على ذلك الحدس أن يقوم فينا قبليا apriori أي قبل أي إدراك لموضوع (ما) .

٣ ـ وعلى المكان أن يكون حدساً محضاً Pure intution وليس تجريبياً .

٤ ـ إن المكان هو القوام Constitution الصوري للذات، القابل للتأثر بالموضوعات، ولاستقبال تصور هذه الموضوعات من دون توسط أي أداة، وبهذا يمكن أن نقيم المكان حدساً خارجياً في الذهن حتى يسبق الأشياء نفسها ويتعين قبلياً[1] .

هكذا إذا ما أردنا للمكان أن يكون مبدأ لفهم معارف قبلية أخرى فيجب أن يكون حدساً قبلياً محضاً يمثل القوام الصوري لذاتنا وهو يسبق الأشياء نفسها، لكن كانط لم يكتف بتحديد هذه الخصائص في عرضيه الميتافيزيائي والترانسندنتالي، فعكف على تحديد عدد من السمات التي تدعم فهمه للمكان (وهي :

١ ـ أن المكان لا يمثل لا خاصية لأشياء في ذاتها، ولا هذه الأشياء في علاقاتها فيما بينها .

٢ ـ المكان ليس سوى صورة جميع ظاهرات الحواس الخارجية، أي ليس سوى شرط لملكة الحس الذاتي الذي به يكون الحدس الخارجي ممكناً لنا .

٣ ـ إن الحس، أي : الصورة الثابتة لقدرة التلقي (لدينا)، هي الشرط الضروري لجميع العلاقات التي بها نحدس الموضوعات بوصفها خارجية، فإذا ما جردناها من هذه الموضوعات فستكون حدساً محضاً، يحمل إسم المكان .

٤ ـ إن المكان يتضمن جميع الأشياء التي يمكن أن تظهر لنا خارجياً، إنما لا شيء من الأشياء في ذاتها جميعاً سواء كان بإمكاننا أن نحدسها، أم لا)[2] .

---

(١) كانط، المحض، ص ٦٢ .

(٢) كانط، المصدر السابق، ص ٦٣ .

الخلاصـــة :

المكان إذن حـدس، وهو حدس قبلي محض، وهو ليس علاقة ولا خاصية للأشياء كما هي أو في ذاتها، إنه شرط من شروط ملكة الحس، وصورة لحدس ما هو خارجي Outer .

الفصل الثاني

مَلكة الحِس والزمان

- المدخل
- مشكلة الزمان قبل كانط
- مشكلة الزمان في فلسفة كانط «المرحلة قبل النقدّية»
- مشكلة الزمان في فلسفة كانط «المرحلة النقدّية»
- العرض الميتافيزيائي للزمان
- العرض الترانسندنتالي للزمان
- الخلاصة

المـــــــدخل :

بعـد المكان يأتي الـزمـان الذي يعـدّه كـانط أحـد العناصر الأسـاسـيـة في ملكة الإحساس، ولما كان الزمان يحتل أهمية كالتي يحتلها المكان بل أكثر من ذلك كان لابد من التوقف عند أهم المعاني التي يتضمنها هذا المفهوم، وقد ذكرنا أن كانط لم يخلص بمفهومه للمكان في مرحلة معينة حاسمة كذلك في الزمان فإنه بلور مفهومه في المرحلة قبل النقدية التي تعرض بعدها إلى نقد موقف كل من ليبنتز ونيوتن وقد عدّ هذا النقد مثابة التمهيد لبلورته مفهوم الزمان في العرضين الميتافيزيائي والترانسندنتالي .

إن الزمـان لدى كـانط حـدس قبلي يتصف بأنه محض وهو صورة ذاتية للحس الباطن لدينا، وهذا ما يمكن أنْ نستجليه في هذا الفصل .

مشكلة الزمان قبل كانط :

يميز جينز بين أربعة معان للزمان هي :

١ ـ الزمن التـصـوري : وهو زمن الديناميـكا النظرية وكل المحاولات المجردة لدراسة التغير والحركة، وهو لا يوجد إلا في عقل شخص يفكر .

٢ ـ الزمن الإدراكي الحسي : هو الزمـان الذي يتـعلق بوعي فـردي معين وينعدم من الوجـود بمـجـرد أن يفـقد هذا الفرد وعيه وتدلنا الخبرة على أنّ عمليات الإدراك الحـسي لجـمـيع الأفـراد تقع سلسلة خطيـة واحـدة، أي : أنها تأتي الواحـدة تلو الأخرى وبذا فالزمن الإدراكي أحادي البعد .

٣ ـ الزمن الفـيـزيائي : هو الزمن العام النشط للفيزياء والفلك، وهو عام، على العكس من الزمانين التصوري والإدراكي الحسي .

٤ ـ الزمن المطلق : هو الزمن الذي ينسـاب بإطراد وبغير حـسـاب لأي عامل خارجي على امتداد الكون[1] .

إن هذه المعاني الأربعـة كـانت معروضة أمام كانط، لكنه كان ينظر ـ وهو بصدد

---

(١) جينز : الفيزياء والفلسفة، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

إعـادة بناء تفـسير جـديدة لنظرية المعـرفـة ـ إلى معنيين، الأول : عـدّ الزمان علاقة، والثـاني عـدّه زمناً مطلقـاً، وكـان الأول يعبر عن رأي ليـبنتـز والثـاني يعبر عن رأي نيوتن .

يعتقد ليبنتز : أن الزمان نسبي، وأنه مجرد علاقة ليس له وجود مستقل عنّا، أو وجود موضوعي، وهو يصدر عن العقل، وينتمي إلى عالم الظواهر .

أمـا نيـوتن فـيـميز بين الزمن النسبي، الذي تدوم فيه الأشياء المادية والحوادث العـقليـة، وما يسميه الزمن المطلق، أو الحقيقي، أو الرياضي الذي ينساب بطبيعته من دون أن تكون له عـلاقـة بأي شيء، ولهذا الزمن المطلق (وجـود موضوعي مستقل لا يعـتـمـد وجوده علينا، ولا يمكننا إدراكه إدراكاً حسياً، ولا يعتمد وجود الأشياء إذ أنه خالص ليس به شيء، ويصفه نيوتن بالخلود واللانهائية ...)[1] .

نقد كانط الزمان/المرحلة قبل النقدية :

لقـد كان الصراع قائمًا في إشكالية الزمان بين صموئيل كلارك (١٦٧٥ ـ ١٧٢٤) الفـيلسـوف واللاهوتي الانجليـزي من جـهـة، إذ (دافع كـلارك عن مذهب نيوتن في الزمان المطلق) [٢]، ووسط هذه الحـمـيّا الفكرية كـان كـانط مقتنعاً أول الأمر بنظرية ليـبنتز في الزمان، ولكنه في سنة ١٧٦٥ فـضّل عليها نظرية نيوتن، وتشير هذه السنة إلى نشر الرسائل المتبادلة بين كلارك وليبنتز [٣]، وعلى أية حال : كانت هذه المرحلة من حـيـاة كـانط مـرحلة القلق الفكري حـيث عكف على صياغة أفكاره النهائية في مسألة الزمـان، لكنه لم يحسم الموقف نهائيـاً فظّل يناقش هذه المسألة في المرحلة النقدية وفي

---

(١) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ٦٨ ـ ٦٩، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦ .

(٢) AL-AZM, S : Kant's theory of Time, P. 1, New York, 1967

(٣) د. محمود زيدان، المصدر السابق، ص ٦٩، وللمزيد انظر :

- AL. AZM : P. 1 - 28.

- Wilkerson : Kant's Critique of pure Reason Oxford 1976 P. 36 - 37.

أمـا الرسائل بين كلارك وليبنتز فقد نشرت في نيويورك سنة ١٩٥٦ من قبل : H. G. Hlexander بعنوان :

"The Leibniz - Clark Correspondences"

إطار جـدلي مع نيوتن وليبنتز، على الرغم من أنه (لم يذكر ليبنتز سوى مرة واحدة في مباحث الاستطيقا، ولم يذكر نيوتن على الإطلاق) (١)، لكنه عبر عن وجهة نظر جدالية من خـلال تخليـه عن الطريقة التي طرح بها كل من ليبنتز وكلارك مشكلة الزمان ثم طرحـه هذه المشكلة في إطار نقـدي، وقـد وجـد د. محمـود زيدان (٢) (نقـاط إختلاف وتشابه بين كانط ونيوتن وكانط وليبنتز يمكن إيجازها بما يأتي :

أ ـ كانط ونيوتن :

يمكن القـول أن ما سماه نيوتن (الزمن النسبي) هو ما أطلق عليه كانط فيما بعد (العـلاقـات الزمنية) أو (الأزمنة المختلفة) التي هي أجزاء الزمن الواحد، والخلاف هنا بين نيـوتن وكـانط هو أنه بينما يجعل الأول للزمن النسبي وجوداً خارجياً موضوعياً مـستقلاً عن أي إدراك إنساني، جعل الثاني العلاقات الزمنية تصدر عن الذات صدوراً قبلياً .

ويمكن القـول أنّ مـا أسماه نيوتن «الزمن المطلق» هو (الزمن الواحد) عند كانط، وقـد أحـال كـانط الزمن المطلق إلى حدس مطلق، يقول كانط في (نقد العقل المحض) : (أمـا واقـعـية الزمان المطلقة فلا يمكن أن تنسب إليه، فهو ـ أي الزمان ـ ليس سوى صـورة لحسنا الباطن ...) (٣)، ويرى أكـثـر من ذلك (أنّ الذين يزعمون واقعية مطلقة للزمـان سـواء حـسـبوها من المقومات أم من الملازمات سيناقضون مبادىء التجربة نفسـها ...) (٤) .

إن أوجه الخلاف ستتضح أكثر عندما نعرض لآراء كانط في الزمان في (نقد العقل المحض) إذ سنلاحظ أن الإخـتـلافـات جوهرية لا في التفصيلات فحسب، بل في البنية الخلافية التي دشنها كانط في خطابه الفلسفي العام، حيث أن هذا الخطاب يمثل قطيعة فلسفية وفاصلة تأريخية مهمة في سياق البحث الفلسفي الحديث .

---

(١) Wilkerson, T. E. i Kant's Critique of pure Reason, P. 36, Oxford 1976 .
(٢) د. زيدان، المصدر السابق، ص 95 ـ 99 بتصرف في النص .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٧ .
(٤) كانط، المحض، ص ٦٨ .

ب ـ كانط وليبنتز :

يعتقد ليبنتز أن (الزمان والمكان ممكنان فقط في العلاقة الأولية بين الجواهر)[1] .

هـذه العـلاقـة هي (مجـردة Abstracted من التـجـربة، ومـتمثلة Represented في التجريد) [2] ، أي أن للعـلاقـات وجـوداً خـارجياً وواقعياً، وهذا لم يكن يروق لكانط، (فإذا كـان الزمـان عـلاقـة بين الأشـيـاء في ذاتها، فلن نستطيع تفسير يقين القضية الرياضية وصيرورتها، كما أننا لا نستطيع إمكان تطبيق حقائق الرياضيات على العالم المحـسـوس، (ومن ثم لا) يمكننا تفـسير القـضـيـة الرياضـية إذا كان الزمان علاقة نجردها من الخبرة لأنّ القضية تصبح حينئذ مشتقة من الإدراك الحسي ثم لا نستطيع أن نتحدث عن ضرورة مطلقة لتلك القضايا) [3] .

إنّ كـانط ينطلق في نقـد ليـبنتـز من مـوقف نقـدي عام يقول كانط لقد (وسمت فلسـفة ليبنتز وفولف جميع الأبحاث حول طبيعة معرفتنا وأصلها بوجهة نظر خاطئة تمامـاً عندمـا لم تنظر إلى الفـرق بين الحسي والمعقول إلا بوصفه فرقاً منطقياً، في حين أنه ترانسندنتـالي صراحـة لا يتـعلق بصـورة وضـوحـهما وغـمـوضـهما وحسب بل بأصلهما ومضمونهما) أيضاً[4] .

مشكلة الزمان في فلسفة كانط/المرحلة النقدّية :

مـثلما هو الأمر في دراسته مشكلة المكان يأتي كانط على دراسة مشكلة الزمان في منظوري العرض الميتافيزيائي، الذي يذهب فيه كانط إلى (إستخلاص الزمان وطبيعته القبلية) (٥)، والعـرض الترانسندنتالي الذي «يمكن أن يسوّغ المعارف القبلية» (٦) بحيث تفهم على أنها الشروط الجوهرية لأي معرفة نقدية .

---

(١) - Muller, M : Kant's Critique of Reason, Vol. 1, P. 323, London 1881.

(٢) - Paton : Kant's Metaphysic of Experience, Vol. 1, P. 133.

(٣) د. زيدان : المصدر السابق، ص ٩٩ .

(٤) كانط، المحض، ص ٧٠ .

(٥) بوترو : فلسـفة كانط، ص ٦١، في النص الأصلي وردت (أولانيـة) وتم اسـتبدالها لتتساوق مع استخدامنا للمصطلح .

(٦) المصدر السابق، ص ٦١ .

ـ العرض الميتافيزيائي لمفهوم الزمان :

أ ـ يعتقد كانط أن (الزمان ليس مفهوماً تجريبياً مشتقاً من أي تجربة، ذلك أن (المعية) شأنها شأن (التتالي) لا تدرك أن لم يشكل تصور الزمان أساساً لها، وبموجب هذا الشرط يمكن تصور أنّ شيئاً يوجد مع شيء آخر في زمن واحد (معاً) وفي أزمنة مختلفة على التوالي) (١)، هذا يعني، كما يقول بوترو (٢) (أنّ الزمان يعرف قبلياً لأنه شرط المعية والديمومة اللتين ندركهما في الأشياء الخارجية أو الداخلية، إننا لا ندرك شيئاً من دون أن نضعه في الديمومة، والديمومة تقتضي الزمان، فمعنى الزمان قبلي بالقياس إلى التجربة) .

ب ـ الزمان (هو تصور ضروري Necessary يمثل أساسا لجميع الحدوس ... وهو معطى قبلي، وفيه وحده يكون تحقق الظاهرات ممكناً ... ويمكن لهذه (الظاهرات) أن تختفي كلها معاً، أما هو نفسه فلا يمكن أن يلغى) (٣)، أن ضرورة الزمان هنا تنفي إمكانية إدراك أي شيء حسي في لا زمان، أي أن كل ما هو موجود هو مقرون بزمان، وما هو مدرك من دون زمان ليس سوى إدراك لا معنى له لأنه إدراك من دون توافر حدس قبلي .

ج ـ يعتقد كانط (٤) أن هذه الضرورة القبلية تؤسس (إمكان المبادىء اليقينية لعلاقات الزمان، أو مسلمات بعامة، فليس للزمان سوى بعد واحد والأزمنة المختلفة ليست معا بل تتالى (هذا مثال)، ولا يمكن لهذه المبادىء أن تستمد من التجربة لأنه ليس بوسع هذه أن تعطى كلية صارمة ولا يقيناً ضرورياً ولا يمكنها أن تقول سوى ما يعلمه الإدراك الحسي المشترك، وليس ذاك ما يحب أن يكون، أما تلك المبادىء فتصلح لقواعد بموجبها تكون التجارب بعامة ممكنة، فهي تعلمنا قبل التجربة وليس بها) .

إن ما يسعى له كانط هنا هو تأسيس مسلمات الزمان ومبادىء الزمان اليقينية

---

(١) كانط، المحض، ص ٦٤ .
(٢) بوترو، المصدر السابق، ص ٦١ .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٤ .
(٤) انظر : كانط، المحض، ص ٦٤ .

على أساس قبلي غير مستمد من التجربة، لأن هذه المبادىء والمسلمات لو استندت إلى الإدراك الحسي العام أو المشترك فإنها لا محالة ستفتقر إلى الكلية الصارمة من جهة واليقين الضروري من جهة أخرى وهما شرطان أساسيان لأي تجربة قبلية ممكنة .

د ـ يميز كانط في الزمان بين أن يكون (مفهوماً سياقياً Discursive أو مفهوماً عاماً General concept، وبين أن يكون «صورة محضة للحدس الحسي Pure form of Sensible Intution) (١)، وهنا توجد صعوبة، كما يقول د. زيدان (٢) في فهم مقصد كانط من إثبات أن الزمان (حدس)، وانكار أن يكون (تصوراً) : يميز كانط بين الحدس والتصور ويشير الحدس التجريبي إلى صفة محددة، أو شيء مجرد في الخارج، يمكنني الحديث عن المنضدة، أما التصور التجريبي فإنه يتضمن خاصية وخصائص عامة يمكن أن تشترك فيها عدة أشياء جزئية كثيرة مثل أصفر، منضدة، التمييز بين الحدس والتصور تمييز بين ما يشيء إلى شيء واحد محدد وما يدل على صفة أو صفات عامة تشترك بين أشياء عدة ومن ثم يمكننا أن نقول عن وعينا بالصفات الحسية للأجسام أو عن الأجسام بالإجمال أنه وعي بتصورات لا بحدوس، وهنالك فرق آخر بين التصور والحدس هو أنه لا يمكننا أن نقسم تصوراً ما إلى أجزاء لكل جزء منها نفس خصائص التصور بالاجمال ينحل التصور (منضدة) مثلاً إلى تصورات هي : لون، شكل وغيرها. وخصائص التصور الأول مختلفة عن خصائص التصور الثانية، لكن يمكننا أن نقسم الشيء الجزئي، الذي يمكننا أن يكون لنا عنه حدس، إلى أجزاء كل منها له نفس خصائص الشيء بالإجمال) .

هـ ـ من جهة أخرى ينفي كانط عن الزمان أن يكون تصوراً جاء نتيجة لتصورات جزئية محدودة ومن هنا يقول :

(يجب أن يكون تصور الزمان الأصلي معطى بوصفه لا محدود Unlimited) (٣)،

---

(١) انظر : كانط، المحض، ص ٦٤ .
(٢) د. زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ٧٧ ـ ٧٨ .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٥ .

وإذا كـانت المعـرفـة تفترض الزمان بوصفه تصوراً كاملاً، فإن ذلك (لا يمكن أن يعطى بمـفـاهيم لأن هذه لا تتـضـمن إلا تصـورات جزئية ويجب أن يكون ثمة حدس يشكل أساساً) (١) لتلك التـصورات الجزئية وما هي سوى تخارج أو نتاج لهذا الحدس .

العرض الترانسندنتالي لمفهوم الزمان :

تعـرّض كـانط في الفـقـرة الثـالثة من عرضه الميتافيزيائي لمفهوم الزمان (الفقرة هـ) إلى المبـادىء اليقينية لعلاقات الزمان أو مسلمات الزمان بعامة، ومن المعروف أن الصلة بين مـفاهيم الزمان والحركة والتغير هي صلة متينة، فالزمان من منظور كانط (بوصـفه حدساً قبلياً يفسر إمكان التغير) (٢)، يقـول كـانط : (أن مفهوم التغير شأنه شأن مـفـهـوم الحركة ليس ممكناً إلا بتصور الزمان وفيه، وأنه لم يكن هذا التصور حـدسـاً قـبليـاً فإن أي مـفـهوم، أي كان، لن يجعل إمكان التغير مفهوماً في الموضوع الواحـد بعـينه، أي إمكان ربط المحـمولات المتضادة تناقضياً) (٣)، أن القـول بتغير ما عـبـارة عن القول بأن شيئاً يصبح أن يكون له محمولات يناقض بعضها بعضا، لكن مـا هو ممتنع ومـرذول عند العـقل هو حـدس قبلي يفصل هذه المحمولات المتناقضة ويعدّها متعاقبة وعندئذ يصير من المعقول أن تحمل على ذات واحدة .

في إسـتـعـراضـه خـصائص الزمان الميتافيزيائية والترانسندنتالية يأتي كانط إلى استنتاج عدد من الخصائص الأخرى لمفهوم الزمان وهي :

أ ـ الزمان ليس شيئاً يوجد في الذات (لأنه لو كان كذلك) سيكون متحقق الوجود من دون مـوضوع متحقق، أو يلازم الأشياء بوصفه تعينا موضوعياً يبقى إذا جردنا حـدسـه من جميع الشروط الذاتيـة، (وهذا يعني) أنه لن يكون بإمكانه أن يعطى قبل الموضوعات بوصفها شرطاً، ولا أن يعرف ويحدس قبلياً بقضايا تأليفية(٤) .

---

(١) كانط، المحض، ص ٦٥ .
(٢) بوترو، فلسفة كانط، ص ٦١ ـ ٦٣ .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٥ .
(٤) كانط، المحض، ص ٦٦ ، ثمة تقديم وتأخير في عبارات هذا النص المجتزأ لغرض التوضيح .

ب ـ إذا كان الزمان لا يمكنه أن يكون تعيّنا للظاهرات الخارجية ولا ينتمي لا إلى هيئة أو إلى مـوقع (فإنه لا محالّة) ليس (سوى صورة الحس الباطن Form of inner sense، أي : صـورة حدسنا لذاتنا ولحالتنا الباطنية Intution of ourselves and of our inner state) (١)، إن وظيـفة الزمان هنا تكمن في (تعيين علاقة التصورات Representations بحـالتنا الباطنة Our inner state) (٢) وأن التـعـبير عن هذه العلاقات لا يمكن أن يتم إلا بموجب (حدس خارجي Outer intution) (٣) .

ج ـ إن الزمان في مفهوم كانط هو (الشرط الصوري القبلي لجميع الظاهرات بعامة) (٤) وهو عكس المكان، فـمن هذه الناحية يمثل الأخير الشرط القبلي للظواهر الخارجية، بينما يختص الزمان بحدس الظواهر الداخلية استناداً إلى مبدأ الحس الباطن الذي يعـد (جميع الظاهرات العـامـة، أي : كل موضوعات الحواس، في الزمان وتخضـع بالضرورة لعلاقات الزمان) (٥) .

د ـ إلى جـانـب ذلـك يعـتـقـد كـانط أنّ الزمـان (ليس سـوى الشرط الذاتي لحدسنا (الـبـشري)، الـذي هـو دائمًا حـسي، أي الـذي لا يـكـون إلا مـن حـيـث نـتأثر بالموضوعات) (٦) الخارجية، (ولايتضمن سوى نمط تأثرنا) (٧) بهذه الموضوعات.

هـ ـ ينفي كـانط الاعـتـقاد السائد بأن (جميع الأشياء هي في الزمان لأننا حين نفهم الأشـياء بصورة عامة إنما نجردها من كل نمط حدسي ... (ولكن يصحّ القول عنا نرى) أن جميع الأشـيـاء بما هي ظاهرات (مـوضـوعات للحدس الحسي) هي في الزمان فسيكون للمبدأ صحته الموضوعية الحقيقية وكليته القبلية) (٨) .

---

(١) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٢) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٤) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٥) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٦) كانط، المحض، ص ٦٦ .
(٧) كانط، المحض، ص ٧٥ .
(٨) كانط، المحض، ص ٦٦ .

الخلاصـــة :

المكان والزمـان إذن هما حدسان قبليان ومحضان حاول كانط في تفكيكه لبنيتهما الـدلالـيـة ومجال تداولهما من لدن الفـلاسـفـة والعلماء أن ينأى بهما عن أن يكونا، كـلاهما أو أحدهما مفهوماً Concept، أو تمـثُّـلاً Representation أو إنطبـاعاً بعدياً Apost priori impression أو حدساً تجريبياً Emprical intution .

وقـد عـدّ كانط المكان شرطاً لجميع الظاهرات الخارجية، وأمكانية لتلقي العلاقات الخـارجـيـة وتنظيمها، بينما عدّ الزمان صورة للحس الباطن، وحدس الذات والظواهر الداخلية .

لقـد عدّ كانط الزمان والمكان (صورتين ذاتيتين لنمط حدسنا الخارجي والباطني، وسـعى هذا النمط حـسـيـاً، لأنه ليس أصليـاً، أي لا يعطي به وجود شيء في الحدس نفـسـه بل هو يخضع لوجـود الشيء ولا يكون ممكناً إلا من خـلال تأثر قـدرة الذات التصورية به) (١)، أي بهذا الشيء .

وإذا كـان كـانط يؤكـد على عـدّ المكان والزمـان شرطين ذاتيين للحدس فإنه، من ناحـيـة أخـرى، يؤكـد على الصلة العـميقة بينهما وبين ملكة الحس (فالزمان والمكان ملازمان بالضرورة المطلقة للحس) (٢)، وهما عـلاوة على ذلك (يعينان حدودهما مجرد شرط للحس) (٣)، وأنهما إذا إرتبطا بمـثل هذا الإرتباط الدقيق بالحس، فإنهما قد حققا نمـوذجـاً للبناء القبلي الفعلي الذي لا يبني بدعم الحس في توليد معرفة تأليفية وقبلية ممكنة قـائمـة على حـدس المعـرفة المحض الذي ينصب بدوره على حدس الموضوعات بوصـفـهـا ظاهرات وحسب، وبذلك حقق كانط الهدف الأول من غاية مذهب العناصر الترانسندنتالية، ألا وهو : الإستطيقا الترانسندالية التي من غاياتها الكشف عن إمكانية الإدراك القـبلي لموضوعات العالم الخارجيَ ومعطياته في عنصري الزمان والمكان اللذين يمثلان عناصر البناء القبلي للمعرفة النقدية .

---

(١) كانط، المحض، ص ٧٤ .
(٢) كانط، المحض، ص ٦٩ ، للحس أو ملكة الإحساس فالمعنى واحد .
(٣) كانط، المحض، ص ٦٨ .

الفصل الثالث

مَلكة الفهم والأحكام

- المدخل
- ملكة الفهم (المفهوم)
- الحكم وملكة الفهم
- الأحكام وملكة الفهم
- الخلاصة

المـــــــدخل :

تقـوم نظرية المعـرفة الكانطية على عناصر أساسية تمثل المكوّنات البنائية لعملها، فـقد رأينا في الفصلين الأول والثاني أن كلا من الزمان والمكان يعدان إطاران حدسّيان وقـبليّـان، إلا أن المعرفة لا تقوم عليهما وحدهما وحسب، فهما ليسا سوى جزأين في عـملية المعرفة، والجزء الآخر نجده في داخل ملكة أخرى هي (ملكة الفهم) وهي تقابل ملكة الإحـسـاس أو الحـسـاسية، ولملكة الفهم قابلية على تلقّي الانطباعات المتأتية من العالم الخارجي عن طريق الحواس، وقابلية على التفكير في هذه الانطباعات .

إن مـعرفة الكيفية التي يفكر بها الفهم قبليا في موضوعاته تقتضي منّـا أن نعرف المقولات، ونعرف الرسومات أو الخطاطات Schematas ثم المبادىء وهي بناءات قبلية في الفـهم تعـد الروابط والصـلات فيما بين عناصر الحساسية من جهة وعناصر الفهم من جـهة أخرى، ولكن ما هو الخيط الهادي إلى كل ذلك ثم كيف يمكن حصر كل تلك البناءات ؟

إن مـا يـؤدي بـنا إلى ذلك إنما هو الأحكام Gegments، فـمن أجل الحصول على وظائف الفـهم لا بد لنا من أن نتعرف إلى (وظائف الوحدة في الأحكام) (١)، أن (الفهم يـصـدّر أحكامـا، والوحـدة التي تظهـر في الحكم تسـتنـد إلى الوحـدة التي توجـد في الفهم) (٢)، وحصراً في تصـوراته المحـضـة، ولذلك فإننا إذا إستطعنا أن نتابع أحكامنا فنحدد أنواعها ونعرف كيفية تقسيمها سنصل عبر ذلك، إلى وضـع لائحة للمقولات، أنّ (الحكم عند كـانط يمارس وظيفة وسطاً بيننا وبين المقولات) (٣)، ومن أجل ذلك، لابد أن نحـدد مفهوم ملكة الفهم، وعلاقتها بالحكم والأحكام، وأي الأحكام يسعى كانط إلى إعطائها قيمة أبستمولوجية مركزية في نظريته للمعرفة ؟

---

(١) كانط، المحض، ص ٨٤ .

(٢) - Jones (W.T.) : A History of Western Philosophy, Vol; 1 P. 828, New York, Chicago, 1952.

(٣) د. وقيدي، ما هي الأبستمولوجيا، ص ٩٤، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٣ .

ملكة الفهم :

الفهم : قدرة، أو ملكة Faculty للإنسان من دون غيره من سائر الخلق، يعرّفها كانط بأنها : (قدرة التوليد الذاتي للتصورات، أو تلقائية المعرفة) (١)، وفي موضع آخر يعرفها بأنها : (وحدة تقوم بذاتها، وتكتفي بذاتها ولا يمكن أن تزاد بإضافة أي عنصر غريب، وعليه فإن مجمل معرفتها الذي سيشكل نظاماً يجب أن يضمّ ويتعين تحت فكرة واحدة وأن يمكن لتماميته وتمفصله أن يصلحا في الوقت نفسه محكّاً لصحة وصفاء كل الأجزاء المعرفية الداخلية فيه ...)(٢) .

إن هذين التعريفين للفهم يطرحان جملة من المسائل، هي :

أ ـ إذا كان الحس يعتمد في تكوين بنائه على معطيات وتأثيرات من الخارج فإن ملكة الفهم لا تعتمد على أي تأثيرات أو معطيات من خارج ذاتها .

ب ـ إذا كان الحس، يعتمد على حدوس حسية فإن ملكة الفهم لا تعتمد على أي حدس، ذلك أن أي معرفة في الفهم ليست حدسية، إنما سياقية (Discursive)(٣) .

ج ـ إذا كان الحس يتلقى من الخارج معطيات العالم الخارجي لتتفاعل معه فإن الفهم أو ملكته لا تتفاعل إلا مع ذاتها كونها تستثمر معطياتها الخاصة بها في إستعمالها المفاهيم .

د ـ إن هذه المفاهيم لا تستعمل إلا وظائف، والوظيفة هنا حسب تعريف كانط لها : (وحدة الفعل الذي ينسق مختلف التصورات تحت تصور مشترك)(٤) .

هـ ـ عندما تجد الحدوس الحسية نفسها في الحس معتمدة على تلقي الانطباعات، فإن هذه (المفاهيم ـ في ملكة الفهم ـ تعتمد على تلقائية التفكير) (٥)، وهو ما يؤكد

---

(١) كانط، المحض، ص ٧٠ ، يعرفها برهييه بأنها : ملكة التصورات، انظر تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ٢٦٠ .
(٢) كانط، المحض، ص ٨١ .
(٣) يترجمها د. بدوي بـ (منطقية)، انظر كتابه «امانويل كنت»، ص ٢٤٠ وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٧ .
(٤) كانط، المحض، ص ٨٤ .
(٥) كانط، المحض، ص ٨٤ .

استقلالية الفهم من حيث عمله واستعماله المفاهيم، وكانط يؤكد (تلقائية المفاهيم) (١) أيضاً إلى جانبٌ تلقائية التفكير في ملكة الفاهمة .

و ـ إن هذه الحدوس وتلك المفاهيم التي هي لملكة الإحساس ولملكة الفهم لا يمكن أن تولد معرفة نقدية إلا أن تكون محضة، إذ أن (الحدس المحض) يتضمن فقط الصورة التي بموجبها يحدس شيء، ويتضمن (المفهوم المحض) فقط صورة التفكير في موضوع بعامة، ووحدها الحدوس أو المفاهيم المحضة قبلياً والتجريبية منها ممكنة فقط بعدياً، ويلاحظ هنا تأكيد كانط على (صوريّة) كل من الحدوس والمفاهيم المحضة على السواء .

ز ـ إن أثر ملكة الفهم في توليد المعرفة هو أثر قاصر إذا ما أتحدَّ مع أثر الحس (فلا يسع ملكة الفهم أن تحدس شيئاً، ولا الحواس أن تفكر شيئاً لوحدهما على نحو منفصل، بل بإتحادهما فقط يمكن أن تتولد المعرفة) (٢) .

الحكم وملكة الفهم :

ثمة علاقة أساسية بين الفهم والحكم، فإذا كانت لملكة الفهم القدرة على تفكير المفاهيم Concept، فإن لها ـ إلى جانب ذلك ـ (القدرة على الحكم) (٣)، وهذه القدرة تنطوي على إمكانية ذاتية في العمل لكنها مشروطة (فملكة الفهم لا تستطيع أن تحكم إلا بوجود المفاهيم، وهذا يعني أنّ كل حكم يفترض وجود مفاهيم، ومن هنا يعتقد كانط أنّ (الحكم هو المعرفة المتوسطة بموضوع) (٤)، أي : المعرفة التي تتوسط قدرة ملكة الفهم من جهة وفاعلية المفاهيم من جهة أخرى .

إن الحكم ينطوي على مفهوم رئيس يصدق على مفاهيم عدة. ويتميز بأنه (ينطوي على تصور معطى هو على صلة لا متوسطة بموضوع) (٥)، فمثلاً يورد كانط مثالاً لما

---

(١) كانط، المحض، ص ٧٠ .
(٢) كانط، المحض، ص ٧٠ ـ ٧٦ . (انظر الفصل الخامس حيث بيان لكيفية الإتحاد بين الحس والفهم) .
(٣) كانط، المحض، ص ٨٤ .
(٤) كانط، المحض، ص ٨٤ .
(٥) كانط، المحض، ص ٨٤ .

يذهب إليه ففي الحكم : «كل الأجسام تنقسم» ينطبق مفهوم (ما ينقسم) على عدة مفاهيم أخرى وبخاصة على واحدة منها هو مفهوم «جسم» .

ينظر كانط إلى الحكم بوصفه وظيفة تمارس أثراً توحيدياً بين التصورات (*) Representations، يقول كانط : (الأحكام : هي وظائف للوحدة بين تصوراتنا لأننا نحل محل تصور لا متوسط تصوراً أرفع ينطوي على الأول إضافة إلى كثير غيره، ويستعمل لمعرفة الموضوع بحيث يصير كثير من المعارف الممكنة مجتمعاً في واحدة) (١) .

وظيفة الحكم إذاً، أنه يوّحد بين التصورات، وإذا كانت لملكة الفهم قدرة على حكم ما .... فإن وظيفتها هنا إنما هي توحيد التصورات بواسطة حكم معين فكيف يتم ذلك؟

الأحكام وملكة الفهم :

إن العلاقة تتضح أكثر فيما بين ملكة الفهم والحكم عندما نلجأ إلى بيان المخطط الذي وضعه كانط للأحكام، ولكن قبل هذا لابدّ من الإشارة إلى أن كانط استبعد من الحكم، أي حكم (مضمونه) وركز بدلاً من ذلك على (صورته)، فوجد أنّ وظيفة التفكير فيه يمكن أن تعود إلى أربعة عناوين يتضمن كل منهما ثلاثة أشكال يمكن تصورها وفق النحو الآتي :

١ ـ أحكام الكم : كل حكم يجب ضرورة أن يكون كمياً (٢)، وينطوي على ثلاثة أشكال هي :

أ ـ حكم كلي : كل الأجسام تتمدد

ب ـ حكم جزئي : بعض الأجسام تتمدد

ج ـ حكم فردي : الحديد يتمدد

---

(١) - Harthnak, Kant's theory of Knowledge, P. 33.

(*) أو التمثلات .

(٢) انظر كانط، المحض، ص ٨٠ .

لقـد سـبق للمناطقـة أن عـدوا الأحكام المفـردة أحكامـاً كلية بينما يرى كانط أن الحكم الفردي متميزاً ماهويًا من الحكم الكلي .

٢ ـ أحكام الكيف : كل حكم يجب أن يتضمن كيفا ما، وهو على ثلاثة أشكال هي :

أ ـ حكم موجب : هذه قطة

ب ـ حكم سالب : هذه ليست قطة

ج ـ حكم لا متناهي : هذه لا قطة[١]

يرى كـانط بصـدد أحكام الكيف أن هناك فـرقـاً بين الصفة اللامتناهية والصفة الموجـبـة في المنطق الترانسندنتـالي، بينما هما من رتبة واحدة في المنطق الصوري العـام وذلك (أن المنطق الأول ينظر إلى الحكم من حـيث قـيمة الإثبات المنطقي أو مـضـمونة بواسطة محمول سالب فقط، بينما المنطق العام يجرد المحمول من كل مـضـمـون حـتى عندما يكون سالباً وينظر فقط فيما إذا كان مناسباً للحامل أو مضاداً له ...)[٢] .

٣ ـ أحكام الإضـافـة، أو العـلاقة : كل حكم لابد أن يتضمن الإضافة أو العلاقة، وله أيضاً ثلاثة أشكال هي :

أ ـ حكم حملي : كل الناس فانون

ب ـ حكم شرطي (متصل) : إذا كانت ثمة عدالة فإن الشرير سيعاقب

ج ـ حكم شرطي (منفصل): العالم يوجد أما بفعل مصادفة، وأما بفعل برانية[٣]

يعـتـقد كانط، فيما يتعلق بهذا النوع من الأحكام أن كل علاقات الفكر في الأحكام هي علاقات تتم بين :

أ ـ حامل بمحمول، وهنا لا يوجد سوى مفهومين .

ب ـ مبدأ بنتيجة، وهنا لا يوجد سوى حكمين .

---

(١) أنظر : - Harthank, Ibid, P. 34.

(٢) كانط، المحض، ص ٨٦ .

(٣) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٢١ .

ج ـ معرفة مقسمة بعامة حلقات التقسيم، ويلاحظ هنا أن كانط يعني بهذه العلاقة أن هناك عدة أحكام منظور إلى الواحد منها بالعلاقة. مع الآخر .

هذا يعني (أن العلاقة بين الحدود في قضية ما قد تكون علاقة محمول بموضوع، أو علاقة أساس Graund وبما يترتب عليه Consequent، أو علاقة شيء بما يدخل تحته من أفراد تشمله كله ويستبعد كل منهما الآخر في نفس الوقت)[1] .

٤ ـ أحكام الجهة : كل حكم ينطوي على جهة معينة، وفي الأحكام ثلاثة أشكال للجهة، هي :

أ ـ احتمالية : قد تتفاهم مملكة النحل فيما بينها بلغة أبجدية .

ب ـ إخبارية : الحديد ممُغنط .

ج ـ يقينية : ما ينطبق على الكل ينطبق على كل جزء من أجزائه[2] .

ولكانط هنا، في الحكم الجهوي، عدد من الملاحظات هي :

١ ـ إن الأحكام تكون إحتمالية عندما نعد الأثبات أو النفي ممكنين وحسب .

٢ ـ إن الأحكام إخبارية عندما ننظر إليها بوصفها ضرورية .

وبأزاء هذه الملاحظات يرى كانط :

(أ ـ القضية الإحتمالية تعبر عن مجرد الإمكان المنطقي (الذي ليس موضوعياً) .

ب ـ القضية الإخبارية تعبر عن التحقق المنطقي، أو الحقيقة في الحكم الإخباري .

ج ـ القضية اليقينية تفكر في الحكم الإخباري المتعين بقوانين الفهم هذه، والحكم الإثباتي قبلياً من ثم تعبر بذلك عن ضرورة منطقية)[3] .

إن ما يؤكد عليه كانط هو أنّ (لجهة الأحكام وظيفة خاصة تمتاز بأنها لا تسهم بشيء في مضمون الأحكام، بل تتعلق فقط بقيمة الرابطة إلى التفكير بعامة)[4] .

---

(١) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٢١ .
(٢) كانط، المحض، ص ٨٧ .
(٣) كانط، المحض، ص ٨٧ .
(٤) كانط، المحض، ص ٨٧ .

لقـد سـبق لكانط أن ميز بين عدد من الأحكام ويعتقد أن ذلك أمر (لابد له في نقد الذهن الانساني) (١)، فـمثلما وُجد للأحكام كما وكيفا وعلاقة وجهة، وجد أن للأحكام أنواعـاً أخرى هي أحكام تحليلية وأخرى تأليفية، وتأليفية بعدية، وتأليفية قبلية تسـهم في توليد المعرفة وبنائها .

١ ـ الأحكام التحليلية :

هي الأحكام التي يفكر فـيـهـا الإقتران بين الحـامل والمحـمول من خلال الهوية، وتسمى أحكاماً تفسيرية Explicative لأن محمـولها لا يضيف جديداً إلى حاملها، أي بحـسب عـبـارة كـانط ولا تضـيف بالمحمول شيئاً إلى مفهوم الحامل، ولا تفعل شيئاً سوى أن تفككه بالتحليل إلى معانيه الجزئية التي سبق أن فكرت فيه)(٢) .

إن الأحكام التـحليليـة لا يشير محمـولها إلى المعنى المفـهوم في الواقع من تصور الموضوع وإن كان ذلك على نحو أقل وضوحاً أكثر غموضاً في الشعور وعندما أقول : «كل الأجـسـام ممتـدة» فأنا لم أتوسع في مـفـهـوم الجسم وأكتفيت فقط بتحليل هذا التـصـور لأن الإمـتداد متضمن في الواقع في مفهوم الجسم قبل الحكم مع أنه لا يشير إليه صراحة، وهذا هو الحكم التحليلي(٣) .

وفي كـتـابه «مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة» ذهب كانط إلى أن المبدأ المشترك لجميع الأحكام التحليلية هو مبدأ التناقض، كما أنها إلى جانب ذلك معارف قبلية(٤) .

٢ ـ الأحكام التاليفية :

هي الأحكام التي يفكر فـيـهـا ذلك الاقتران من دون الهوية المذكورة،غ ويُسميها كانط الأحكام التوسيعية Ampliative وهي تضيف إلى مفهوم الحامل محمولاً لم يكن يفكر فيه ولم يكن بوسعنا أن نستمده منه بأي تحليل ... مثال ذلك عندما أقول : «كل

---

(١) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٥٨ .
(٢) كانط، المحض، ص ٤٩ .
(٣) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٥٤ .
(٤) كانط، المصدر السابق، ص ٥٥ .

الأجسام هي ثقيلة» فأن المحمول هنا مختلف تماماً عما أُفكره في مجرد مفهوم جسم بعامة، فإضافة مثل هذا المحمول تعطي إذاً حكمًا تأليفياً[1] .

في هذا الإطار يرى كانط أن (الأحكام التأليفية تستلزم مبدأ آخر غير مبدأ عدم التناقض) (٢)، لكنه يؤكد في كتابه «المقدمه» أن (أياً كان هذا المبدأ فلا بد أن تشتق منه بحسب مبدأ التناقض ولا شيء فعلاً يناقض هذا المبدأ علمًا بأنه ليس مصدر كل شيء)[3] .

٣ ـ الأحكام التأليفية البعدية :

إن مصدر هذه الأحكام هو التجربة، وهي لا تقوم على البديهية الأساسية في التحليل، أي مبدأ التناقض فقط، فهي تستلزم غير هذا المبدأ مبدأ آخر، ولكن أياً كان هذا المبدأ فلا بد أن تشتق منه بحسب مبدأ التناقض ولا شيء فعلاً يجب أن يناقض هذا المبدأ[4] .

٤ ـ الأحكام التجريبية :

إن هذه الأحكام بما هي كذلك كلها تأليفية لأنه سيكون من الُخلف أن أوسس حكمًا تحليلياً على التجربة فلا يحق لي أن أخرج من مفهومي لأكوّن هذا الحكم، ولا أكون إذاً بحاجة إلى شهادة التجربة (٥)، أن هذه الأحكام ليست مُتعينة ولا متساوية بالنسبة لوظائف الحكم، وتعطيها بذلك قيمة كلية تجعل بواسطتها أحكام التجربة بعامة ممكنة[6] .

---

(١) كانط، المحض، ص ٤٩ .
(٢) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٥٥ .
(٣) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٥٥ .
(٤) كانط، المصدر السابق، ص ٥٥ .
(٥) كانط، المحض، ص ٤٩ .
(٦) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ١٤١ .

٥ ـ الأحكام التاليفية القبلية :

يذكـر كـانط أن مـصـدر هذه الأحكام هو (الذهن والعقل المحض) (١)، ومن أجل توضـيح مـفـهـوم هذه الأحكام يرى أنه «إذا ما وسعت معرفتي وتطلعت إلى التجربة التي منهـا أسـتـمَّد مـفـهوم الجسم هذا فسأجد أيضاً الثقل مرتبطاً دائمـاً بالعلامات السابقة وسأضيفه، ثم، تأليفياً بوصفه محمولاً إلى ذلك المفهوم، فعلى التجربة يتأسس إذا إمكان تأليف المحمول «الثقل» مع المفهوم «الجسم»، لأن الواحد من هذين المفهومين على الرغم من أنه لا يتـضـمن الآخـر، ينتمي وأنْ عرضياً، إلى الآخر بوصفه جزءاً من كل، أي من التجربة التي هي نفسها ربط تأليفي للحدوس بعضها ببعض(٢) .

إذا كـان هذا ممكناً في الأحكام التأليـفـيـة التجريبية فإنه ينعدم تماماً في الأحكام التأليـفية القبلية فلو كان عليّ ـ والقول لكانط ـ أن اتخطى مفهوم «أ» لأعـرّف مفهوماً آخـر هو «ب» بوصـفـه مـرتبطاً به فلن أجـد ما أستند إليه وما يجعل التأليف ممكناً لأنني مفتقر، هنا، إلى إمتياز البحث في حقل التجربة(٣) .

---

(١) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ٥٥ .
(٢) كانط، المحض، ص ٤٩ .
(٣) كانط، المحض، ص ٤٩ .

الخلاصـــة :

إن الأحكام التاليـفـيـة القـبلية تمثل أساساً جوهرياً في فلسفة كانط بعامة، وفي فلســفـته لنظرية المعرفة النقدية على نحو خاص، فهي تمثل عصب المنطق الكانطي من جهة، وجوهر البحث عن إمكانات الفهم القبلية لتوليد المعرفة من جهة أخرى، وهي إلى جـانب ذلك تعـدّ الأساس الأبستمولوجي لقيام العلوم الرياضية والطبيعية على أساس نقدي .

إن وضـع لائحـة رباعـيـة للأحكام ستكون المحاولة الأساسية التي ستقوم عليها لائحــة المقولات والرسومات والمبادىء فيما بعد وهي البناءات القبلية التي تتوفر ملكة الفــهم على إستثمارها لأجل توصيل العلاقة فيما بين عالم الحس وعالم الفهم لتحقيق الأتصال المعرفي من جهة وتكوين معرفة نقدية من جهة أخرى، ولمعرفة كيفية توصيل العـلاقــة بين الحس والفــهم لابُـدَّ من التوقف عند (المقولات) التي هي المفاهيم القبلية والتي يعدها كانط العناصر القبلية الأولية لملكة الفهم .

الفصل الرابع

مَلكة الفهم والمقولات

- المدخل
- الأحكام والمقولات
- المقولات بين كانط وأرسطو
- خصائص مقولات كانط
- الخلاصة

المـــــــدخل :

إن ملكة الفـهم تنطوي على مـفـاهيم قبلية تتسم بأنها محضة تشترك مع عناصر ملكة الحـســاســيـة (المكان والزمان) في توليد المعرفة، وقد إستعان كانط كما رأينا في الفـصل الســابق بلائحـة الأحكام ليـتم العـبـور من خـلالها إلى مجال هذه المفـاهيم (المقـولات)، لأنه وجد أنّ للمقولات أهميتها الخاصة في المقاربة بين عالم الحس وعالم الفـهم، وقـد وجد أن الخيط المؤدي إلى المقولات لا محالة هو الأحكام، ومن هنا وجدنا ضرورة بيـان حـدود العـلاقة فيما بين الأحكام والمقولات، ولما كانت المقولات بوصفها نسـقـاً ترتبط بأرسطو طاليس كـان لابد من كـشف الاختلاف والتشابه بين مقولات كـانط ومقولات أرسطو طاليس، ثم بيان أهمية مقولات كانط وأثرها في نظرية المعرفة النقدية .

الأحكام والمقولات :

يرى كانط أن كلاً من الأحكام والمقولات (تمثل قائمة منهجية منسقة لأنها نظمت بالنظر إلى الأصل أو المصدر الذي تنبعث منه أعم مفاهيمنا أو تصوراتنا) (١)، والعلاقة هنا بين الأحكام والمقـولات هي علاقة ضرورية حسب كانط، (فتقسم المقولات مستمد من مـبـدأ مشترك هو القدرة على الحكم The faculty of judgment الـتي هي نفس القدرة على التفكير The faculty of thought) (٢)، وهذا يعني أن العـلاقة بين الأحكام والمقولات ليست ضرورية وحسب، إنما هي علاقة جوهرية أيضاً ودليل ذلك ما يذهب إليـه كـانط من أنّ قائمة المقولات مشتقة أساساً من قائمة الأحكام، (ويمكننا أن نزيد مـوقف كـانط إيضاحاً في اشتقاقه مقولاته من صور الأحكام إذ يرى كانط أنّ الحكم إنما هو توحـيـد بين أفكار وتصورات، أي أنه يربط محمولاً بموضوع بأنحاء مختلفة هي الصـورة المنطقـيـة المخـتلفـة للأحكام، لكن يمكن النظر إلى هذه الصورة المختلفة للأحكام من زاوية أخـرى، أمـا أن يوحِّـد الحكم موضوعات جزئية كثيرة في كل واحد

---

(١) د. زكريا ابراهيم : كانط، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) كانط، المحض، ص ٩٠ . وأنظر :

- Seung : Kants conception of the categories, P. 110. (The revlew of metaphysics, Vol. XLIII, No. 1, 1989).

بفضل ما بها من خصائص مشتركة فتصل إلى الوحدة أو إلى كثرة (مقولات الكم)، وأما أن يتضمّن الحكم إثباتٌ تصور لشيء ما أو لتصور آخر، أو سبب تصور عن شيء أو عن تصور آخر (مقولات الكيف)، وأما أن يتضمن الحكم إسناد محمولات معيّنة لموضوع أول لن يكون ذاته محمولاً (جوهر) أو يتضمن الحكم أساساً يرتبط بما يترتب عليه أو يفصل الحكم أصنافاً متعددة من موضوعات بعضها عن بعض مع أنها تندرج جميعاً تحت تصور واحد (تأثير متبادل) وأما أن يتضّمن الحكم إمكاناً أو تقريراً أو ضرورة (مقولات الجهة)[1] .

المقولات بين كانط وأرسطو :

إن مقصد المبحث عن هذه المفاهيم الأساسية ـ والقول هنا لكانط ـ إنما هو مقصد جدير برجل ثاقب البصر كأرسطو لكنه حيث لم يتبع أي مبدأ التقطها على عجل كما مثلت لديه وجمع منها عشرة سمّاها مقولات (محمولات) وأعتقد، فيما بعد، أنه عثر أيضاً على خمسة أخرى أضافها إلى الأولى بأسم محمولات لاحقة، إلا أن ذلك لم يقلل من نقص لائحته[2] .

لقد ترك أرسطو تقسيمات متعددة للمقولات، ولكن أكثرها شيوعاً هو التقسيم إلى: الجوهر، الكمية، الكيفية، العلاقة، الأين، المتى، الموضع، الملك، الفصل، الإنفعال[3] .
أما مقولات كانط فهي :

١ ـ الكم : الوحدة، الكثرة، الجملة .

٢ ـ الكيف : واقع (ايجاب)، نفي (سلب)، حصر (حد) .

٣ ـ الإضافة : جوهر (قوام)، سبب (علة)، إشتراك (تفاعل) .

٤ ـ الجهة : إمكان، وجود، ضرورة[4] .

---

(١) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٢٩، وانظر كذلك نص زكريا ابراهيم : كانط، ص ٨٨ وانظر : كانط، المقدمة، ص ١٤٠ .
(٢) كانط، المحض، ص ٩٠ . وانظر : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ١٣٩ .
(٣) ارسطو طاليس، المنطق، جـ١، ص ٣٣ تـر : إسحق بن حنين، تحـ : د. بدوي. وانظر : د. النشار : المنطق الصوري، ص ١٥٨ .
(٤) كانط، المحض، ص ٨٩ .

إن التـبـاين بين القـائمتين واضـح كل الوضـوح، فمن حيث العدد نجد أن مقولات أرسطو عشرة، بينما مـقولات كانط إثنتا عشرة مقولة، وهي تنقسم إلى أربع مجاميع، بينما هذا يغيب في قائمة أرسطو[1] .

إن المقـولات الثـلاث : الكمية والكيفية والعلاقة أو (الإضافة) لدى أرسطو ليست مُجدولة كما هو الأمـر لدى كـانط، لكنهـا تسـتـخـدم لواحـدة من ثلاثة أسماء لأربع لوحات تقسم إلى إثنتي عشرة مقولة في أربع مجاميع .

يُلاحظ في قـائمـة المقـولات الكانطية غياباً لعدد من المقولات مثل : المكان والزمان والموضـع والملك والفـعل والإنفعال، أما مقولة الجوهر فهي المقولة الوحيدة التي نجدها في كلتا القائمتين إذا كانت مقولتا كانط في الجوهر والملازمة تؤخذ كمقولتين مساويتين لمقـولة أرسطو في الجـوهر لكنهما لا يلعـبـان مـسـتوى التساوي نفسه لدى كل من أرسطو وكـانط في قـائمـة كل منهما إذ نجـد أن مقولتي كانط في الجوهر وفي الملازمة تعـدان من مـقولات الإضافة، أو من المقولات العلائقية الثلاث، بينما مقولة أرسطو في الجوهر ليست من المقولات العلائقية أو من مقولات الإضافة إنما من مقولات الجهة .

ويلاحظ إلى جـانب ذلك أننا لو نظرنا إلى قـائمـة كـانط في المقـولات لوجدنا أنها تختلف عن قائمة مقولات أرسطو بعدد من الإختلافات، هي :

١ ـ إن كـانط قـد فـهم من المقولات أنها : (الوظائف المنطقية) أو (الروابط الأولية) أو (العـلاقـات الضرورية) بين (الموضوعات والمحمولات)، في حين عدّها أرسطو مثل مجموعة الأجناس العليا التي تندرج تحتها جميع الموضوعات والمحمولات .

٢ ـ إن المقـولات الارسطية في رأي كانط ليست متجانسة بدليل أنّ صاحبها قد أدخل في ضـمن هذه المقـولات مـعـاني الزمان والمكان والوضـع في حين أن هذه كلها لا ترتد إلى العقل، بل إلى التصور الحسي المحض .

٣ ـ يلاحظ كانط أن أرسطو لم يستند إلى أساس واحد في تحديده المقولات، بل هو قد يستند مرة على أساس نفساني منطقي، فـعدّ المقولات ضروبا من الحكم والتعبير، ثم إستند مرة أخرى إلى أساس ميتافيزيائي فأعتبر المقولات منصبّة على الوجود.

---

(١) كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ص ١٤٠ .

4 ـ إن أرسطو كـان يهدف من وراء قائمة مقولاته إلى وضـع نسق تأليفي للأشياء في كـثرتها، أو تعددها، أعني تصنيفاً للموضوعات الواقعية، ولكن في علاقتها بالفكر، في حين أن هدف كـانط هو تحليل عناصر (العقل البشري في صـميم وحدته) أي : تشريح الفكر المحض، ولكن في علاقته بموضوعاته .

٥ ـ نلاحظ، إذاً، أن مـقولات ارسطو (موضوعية) لأنها تنصّب على الأشياء من كونها مـفـهـومـة، في حين أنّ مـقولات كانـط (ذاتية) لأنها تنصبّ على العقل من كونه فهمًا (١)، (وهنا يتـضح أن مـقولات أرسطو ذات طابع أنطولوجي، بينما مقولات كانط ذات طابع أبستمولوجي)(٢) .

خصائص المقولات الكانطية :

في (نقـد العقل المحض) (٣) يطرح كـانط عـدداً من الملاحظات على قائمة مقولاته، وهي :

١ ـ إن لائحة المقولات هي لائحة جميع مفاهيم التأليف المحضة أصلاً يتضمنها الفهم قـبليـاً، والتي بفـضلها وحدها نكوّن فهمًا محضاً لأنه إنما بفضلها فقد يمكننا أن نفهم شيئاً من بين متنوّع Manifold، أعني أن نفكر موضوعاً فيه .

٢ ـ يسـمي كـانط هذه المفـاهيم (مفاهيم ملكة الفهم المحضة)، إنما المشتقة : (أحاميل ملكة الفهم المحضة) في مقابل (المحمولات) .

٣ ـ إن المقـولات ممزوجة بأحوال الحس المحضة أو حتى فيما بينها تعطي عدداً كبيراً من المفاهيم القبلية المشتقة وستكون الإشارة إليها وعرضها بأكمل ما يمكن جهداً مفيداً لكنه جهد يمكن تجنّبه هنا .

٤ ـ إن اللوحـة المذكـورة تتضمن بشكل كامل جميع (المفاهيم الأصلية لملكة الفهم، بل صـورة نجـد (نظامـهـا) في ملكة الفهم البشرية، وترشدنا بعد ذلك إلى آنات العلم الإعتيادي المزمع ونسقه أيضاً .

---

(١) د. زكريا ابراهيم : كانط أو الفلسفة النقدية، ص ٩٠ .
(٢) د. زيدان : المصدر السابق، ص ١٣٢ .
(٣) كانط، المحض، ص ٩٠ ـ ٩١ .

وإذا كـان كـانط يطرح هذه الملاحظات في عـرض عـام فإنه يطرح عدداً آخر من الملاحظات (١) في عرض يتسم بأنه أكثر تركيزاً، فيرى :

أ ـ إن هذه اللوحـة تتـضـمن أربعـة أصناف من مفاهيم ملكة الفهم تنقسم أولاً : إلى قسمين أحدهما يتعلق بـ (موضوعات الحدس)، سواء أكانت محضة (مجردة) أم تجـريبـيـة، والثـاني بـ (وجـود هذه الموضـوعات بعضها إلى بعض أو إلى ملكة الفهم).

ويسـمي كانط الصنف الأول من المقولات بـ (المقولات الرياضية)، والثاني صنف (المقـولات الدينامـيكية)، ويشير كانط إلى أن الأول ليس له متضايقات بينما تجد ذلك في الثاني ويعود سبب هذا الفرق إلى طبيعة الفهم ذاته .

ب ـ ثمـة عـدد مـتـساو من المقولات في كل صنف، أي ثلاث، وهذا ما يستحق بدوره تفكيراً إذ أن كل تقـسـيم قـبلي بمـفاهيم يجب أن يكون ثنائياً، أضف إلى ذلك أن المقولة الثالثة في كل صنف تنجم دائمًا عن ربط الثانية بالأولى لكن لا تحسبّن من جـراء ذلك أنّ المقـولة الثـالثة هي مجرد مفهوم مشتق وليس مفهوماً أصلياً لملكة الفـهم المحض، ذلك أنّ ربط الأولى بالثـانيـة للإتيـان بالمفهوم الثالث يتطلب فعلاً خاصاً لملكة الفهم ليس هو الفعل الحاصل في الأول والثاني .

ج ـ هناك مـقـولة واحـدة هي مقولة «الإشتراك» الواقعة تحت العنوان الثالث لا يظهر توافـقـهـا بمثل وضوح توافق الأخرى مع صورة الحكم الشرطي المنفصل المقابل لها في الوظائف المنطقية .

---

(١) كانط، المحض، ص ٩١ ـ ٩٢ .

الخلاصـــة :

إن المقـولات هي عـبـارة عن مـفاهيم قبلية في ملكة الفهم، وهي محض نتاج لهذه الملكة، والمقـولات من ناحـيـة لا تنطبق إلا على الأشياء المحسوسة، وهذا ما ينفي عنها قـدرتها في الإنطبـاق على الأشـيـاء في ذاتها، وبقدر ما هي كذلك فإنها في ذاتها تسمح للفـهم بأن يفكر التـصـورات القادمة إليها من العالم الخارجي بواسطة تجربة ممكنة، المقـولات بوصفها نسقاً تمثل بناء أساسياً في نظرية المعرفة الكانطية، إلا أن المشكلة لا تزال قـائمـة، فكيف يمكن للمـقـولات أن تنطبق على معطيات العالم الخارجي، أي على موضوعات الحدوس الحسية .

يمكن لنا أن نجد جواباً لهذا السؤال في الفصل الآتي .

الفصل الخامس

عناصر الربط بين ملكة الحس وملكة الفهم

- المدخل
- الربط أو التأليف

وحدة الإبصار التأليفية

- المُخيلة
- الرسومات
- الخلاصة

المـــــــدخل :

في الفـصــول الســابقــة إستعرضنا مع كانط مجمل المفاهيم القبلية التي تسهم في تـولـيـد المعـرفـة مـثل عناصر الحس، كـالمكان والزمـان، وعناصر الفـهم، كـالأحكام والمقـولات، وبقدر ما قدّم كانط هذه المفاهيم بوصفها شروطاً قبلية لتوليد هذه المعرفة فإنه لم يبين لنا الكيفية التي تكون بها هذه المفاهيم شروطاً قبلية لإمكان التجربة، مما دعـاه إلى التـفكير في هذه المشكلة فـتـوصل إلى بناء مقاربات تمدّ الصلة فيما بين عالم الُحدوس الحسية من جهة وعالم المقولات التفكّرية من جهة أخرى .

لقـد بلور كـانط مـفهوم (الرابط أو التأليف) ومفهوم (وحدة الإبصار التأليفية ـ الأصليـة) و(مـفـهـوم ـ الخـيـال) ومـفهوم (الرسوم أو الخطاطات)، بوصفها أدوات للمـقـاربة بين عـالم الفـهم وعالم الحس لفك الغموض الحاصل بينهما، الذي عجزت الفلسفات من قبله عن إيجاد مخارج جديدة له في إطار نظرية المعرفة .

إن بيـان كـيـفـية الصلة بين عناصر ملكة الحس وعناصر ملكة الفهم هو محاولة لتـفسير الكيفية التي تندرج فيها حدوس الحس (الزمان والمكان) تحت مقولات (ملكة الفهم)، ومدخل لكيفية تطبيق المقولات على الظاهرات، وهذا ما سنجده في هذا الفصل .

الربط أو التاليف The Combination

تعـد مـعطيـات العالم الخارجي عبارة عن متنّوع حسي يتم تلقيّـه من لدن الفهم بواسطة صـور حـدسـيـة تقـوم فـينا قـبليـاً، وهما : الزمـان والمكان، وكل من هذين العنصرين لا يمـثل بحد ذاته قدرة من شأنها توليد معرفة محددة وواضحة، أي : أنه لابد من وجـود قـدرة تقـوم بربط المعطيـات وصورها الحدسية بالفهم، وهذه القدرة هي: «الربط أو التأليف» .

إنّ هذه القـدرة ـ حسب كانط ـ لا ترتبط بأحد عنصري الحس إنما ترتبط بملكة الفـهم، فالربط (فعل لتلقائية ملكة التصور) (١)، ولهذه القـدرة، إلى جـانب ذلك، سمة الإقتران بالذات البشرية، فـلا يمكننا أن نتصور أي شيء مربوطاً في الموضوع من دون

(١) كانط، المحض، ص ٩٩ .

أن نكون قد ربطناه بأنفسنا، بل أنّ الربط هو التصور الوحيد من بين جميع التصورات الذي لا يمكن أن يُعطى بالأشياء، بل يمكن للذات وحدها أن تقوم به لأنه فعل من أفعال تلقائيتها ... وهو إلى جانب ذلك، كما يقول كانط، (يجب أن يكون واحداً، ويصلح بالتساوي لكل ربط) (١)، أن غاية الربط هي التوحيد فيما بين المعطيات المتنوعة، لكنه، بحد ذاته، لا ينطوي على هذه القدرة (بل بالإضافة إلى تصور المتنوع يجعل، بدءاً، مفهوم الربط ممكناً ...) (٢)، هذا يعني أن وجود الربط قائم أساساً على وجود متنوّع التصورات الواردة إلى ملكة الفهم، وهنا تكمن ديناميكية هذه القدرة .

وحدة الإبصار التاليفية ـ الأصلية

The Original Synthetic Unity of Apperception

مثلما للفهم قدرة على الربط، كذلك له القدرة على إبصار معطيات العالم الخارجي، وما دام «الأنا أفكر» هو مواكباً لجميع التصورات، فإن هذا الإبصار يواكب جميع تلك المعطيات، والإبصار (فعل للتلقائية) (٣)، وهذا ما يلقي إرتباطه بعالم الحس، ويجعل كانط من هذا الإبصار إبصاراً محضاً Pure وأصلياً Original وواحداً One، وهو يعمل على توليد «الأنا أفكر» الذي يواكب جميع التصورات، ولا يستمدّ إمكاناته من أي شيء سوى ملكة الفهم، ويسمى كانط الإبصار بـ (وحدة الإوتعاء الترانسندنتالية The Transcendental Unity Self-Consciousnes) لكي يدل به على إمكان المعرفة قبليا، ولا بد إلا ننظر إلى الإبصار كونه يواكب المعطيات الطارئة على الذات مواكبة ميكانيكية آلية وهو ما يسميه وعي المتنوع وعياً تجريبياً، هذا الوعي لا يعدو أن يكون مشتتاً(٤)، مما يعني ضرورة اللجوء إلى وعي مضاد لذلك، وعي غير مشتت في التأليف فيما بين التصورات بمعنى (يمكنني أن أتصور هوية الوعي في تصوراتي المعطاة فقط بشرط أن

---

(١) كانط، المحض، ص ٩٩ .

(٢) كانط، المحض، ص ٩٩ . وللمزيد حول طبيعة الربط أو التأليف انظر :
- Paton : P. 263 and P. 274.

(٣) كانط، المحض، ص ١٠٠ . وللمزيد انظر : - Paton : Ibid, P. 359.

(٤) أي الذي لا يعود فيه شيء يمت به بصلة إلى التصور، أو أي شيء يستدعي الفعل التعقلي، أنظر : برهييه، تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ٢٦٤ .

أقدر على ربط متنوع هذه التصورات في وعي واحد) (١)، أي : أوحدّ جميع التصورات في إوتعاء واحد .

إلى جانب ذلك يرى كانط أن (الوحدة التأليفية لمتنوع الحدوس من كونها معطاة قبلياً هي مبدأ هوية الإبصار نفسه الذي يسبق قبلياً كل تفكيري المتعين) (٢)، وهذا يعني أنّ للإبصار القدرة على التوحيد والتأليف وهي قدرة مستمدة من الفهم كما أنها ليست سوى (القدرة على الربط القبلي، وعلى إحالة متنوع التصورات المعطاة إلى وحدة الإبصار التي هي المبدأ الأعلى في المعرفة البشرية بأسرها)(٣) .

إن فعل الإبصار يمارس وظيفته في إشتراك التصورات المعطاة من حوله، وأي تصور لا يشترك تحت خيمة الإبصار لا يمكن له أن (يكون مجتمعاً في أوتعاء واحد) (٤) .

ثمة وحدة وعي، إذ لها القدرة على إستقطاب التصورات، وإقامة الصلة بين التصورات والموضوعات، وإنتاج موضوعيتها، بل أنها تمثل شرطاً موضوعياً لكل معرفة وفيها يتم لملكة الفهم إمكانها في إنتاج المعرفة(٥) .

إنّ ما يؤكد عليه كانط هو علاقة (وحدة الإوتعاء) أو (الوعي الذاتي) بـ (الذات الإنسانية)، ذات الفرد، أو الشخص، يقول كانط : (أنا لست بحاجة لأعرف شيئاً وحسب، بل يجب أن أخضع لها أيضاً كل حدس حتى يصير شيئاً لي، لأن المتنّوع لن يتوحد في وعيي بطريقة أخرى من غير هذا التأليف) (٦)، الذي تقوم به وحدة الوعي وتتصف هذه الوحدة بأنها : موضوعية (٧) لأنها تربط معطيات العالم الخارجي بملكة الفهم في المقولات .

---

(١) كانط، المحض، ص ١٠١ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٠٢ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٠١ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٠٢ .
(٥)، (٦) كانط، المحض، ص ١٠٢ .
(٧) إذا كانت وحدة الإبصار التاليفية الأصلية هي موضوعية توحد معطيات العالم الخارجي في مفهوم محدد، فإن هناك (وحدة وعي ذاتية) والتي هي مثل تعين determination للحس الباطن والتي بها يعطى متنّوع الحدس تجريباً، إلا أن كانط ينقد هذه القدرة ولا يجد فيها إمكانية الإمتداد في فاعليتها إلى العالم الخارجي وهي لذلك ليست صادقة بالنظر إلى ما هو معطى لا ضرورياً ولا كلياً. انظر كانط : المحض، ص ١٠٢ .

إن ملكة الفـهم عندما تسعى إلى توحيد مختلف التصورات الواردة إليها من العالم الخـارجي فإنها لابد أن تسـتنُد إلى أداة توحـيد تجمع فيها هذه المعطيات وتكون مثل البوتقة، وتلك الأداة هي المقولة، فبفضلها (أتصور متنوعا يتضمنه حدس واحد أسميه حـدسي بوصـفـه منتمياً إلى وحدة الإوتعاء الضرورية) (١)، وفي المقـولة تستطيع ملكة الفـهم أن تضـفي الوحـدة على مـتنوع الحس، وهذا ما يكشف العلاقة الجوهرية بين وحـدة الإبصـار الأصلية، وبين المقولات من جهة وعلاقة ذلك كله بملكة الفهم الإطار العـام الذي تنتظم فـيه كل هذه الإمكانات لتحقيق المعرفة، أن المقولة هي المفهوم الذي بمـوجـبـه نفكّـر المعطيات الواردة من العالم الخارجي وفاعلية هذا المفهوم هي قاصرة إذاً لم ترتبط بوحدة الإبصار التأليفية تلك .

إن هذه المقـاربة لها أهميـتـهـا في تكوين المعـرفة، فالتصورات تبقى عائمة إذا لم تخضـع لفـعل يردّها إلى الوحدة، ذلك أنّ وحدة الإبصار هذه هي ما يرد التصورات إلى وحـدة، كما أن وحدة الإبصار هذه هي (عماد وحدة المقولات إلا أن هذه الكيفية وكما يبـدو لا تحل المشكل حـلاً شـاملاً إذ يمكن أن تكون التصورات كلها تصورات لوعي واحد، ولكن من دون أن يكون بإمكانها أن تصبح وحدة تمُثِّل موضوعاً للمعرفة) (٢).

المخيلة The Imagination

يعـتـقـد كانط أن هناك مقاربة أخرى بين الحس وبين الفهم فهو يهيب بملكة، أو قدرة جديدة هي المخيلة (٣)، والتي هي القـدرة (على تصور موضوع من دون حضوره في الحدس) (٤)، وهذا يعني أن لها إمكانية تعيين ملكة الحس قبلياً .

إنّ المخـيلة في نظره تلقـائيـة، أي أنها (تعيِّـن ولا تتعين) (٥) وهي إلى جـانب ذلك (إبداعـية)، أو (منتجة) (٦)، بمـعنى أنها تمارس مـهـمـة محددة وهي (توفير رسوم

---

(١) كانط، المحض، ص ١٠٥ .
(٢) د. وقيدي، ماهية الابستمولوجيا، ص ١٠٠ ، ود. بدوي، أمانويل كنت، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .
(٣) د. زكريا ابراهيم : كانت أو الفلسفة النقدية، ص ٩٨ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٠٧ .
(٥) كانط، المحض، ص ١٠٧ .
(٦) يفـرق كانط بين (المخيلة الإسترجاعية) و (المخيلة المنتجة أو الإبداعية)، ويعتقد أن الأولى تنتمي إلى السيكولوجيا وليس إلى التخيل الترسندالي، أنظر : المحض، ص ١٠٨ .

تخطيطية للمقولات تكون مثل أساليب كلية لتصور هذه المعاني الذهنية ـ أي المقولات ـ على نحو حسي)[1] .

إنّ عـمـل المخـيلة لا يتم إلا داخل الذهن ولهذا يجب أن يكون شكله شكل الحس الباطن، أي الزمان، ذلك إن الزمان يبدو لنا هو الآخر على أنه وسيط بين العيان الحسي (الحدوس الحسية) وبين المقولات، أنه مجانس للعيان في أنه متضمن في كل واحدة من إمتثالاتنا التجريبية، ومجانس للمقولة في أنه كلي ويمثل قاعدة قبلية[2] .

المخـيلة يمكن إذن أن تؤدي فـعل الوسـيط بين الحس والفهم وذلك في أنها تنوب عن الحس في تقـديم مـادة الحـدس إلى المقولات كما أنه يتضمن من جهة أخرى، فعلاً للتركيب لا ينتمي إلا إلى مقولات الفهم[3] .

إلا أن المقـارنة هي الأخـرى تنطوي على عـائق يجعلهـا ليست المقاربة التي تحل الإشكال في تفسير كيفية الربط بين العالمين، عالم الحس وعالم الفهم، ففي الحالة التي لا نحـصل على مـعطيـات العـالم الخـارجي بواسطة الحدوس الحسية (فيقوم الخيال بإسـتـعادة حدس حسي سابق عن ذلك الموضوع ويقدّمه للمقولات، كما يكون واسطة بين هذا الحـدس الحسي المسـتـعـاد وبين قـدرة التركيب عند المقولات، وهكذا نرى أن الفعل الوسيط الذي يؤديه الخيال لا يمكن أن يستجيب لمطلب إشكالنا الذي يبحث عن الكيفية التي يتم بها إتحاد الحدوس الحسية بالمفاهيم المحضة، للفهم، أي للكيفية التي تنطبق بها مـقـولات ملكة الفـهم وهي عناصر قـبلية في معرفتنا على مواجهة التجربة، وهي العنصر البعدي في تلك المعرفة)[4] .

---

(١) بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٢٥ .
(٢) د. وقيدي، ما هي الابستمولوجيا، ص ١٠١ بتصرف .
(٣) د. وقيدي، المصدر السابق، ص ١٠١ .
(٤) د. وقيدي، المصدر السابق، ص ١٠١ .

الرسوم The Schemas

في حـدس الزمـان يرسم الخيال قبلياً إطارات يمكن أن ندخل فيها الظواهر وتدل على المقـولة التي يجب أن ترتب تحـتـها (١)، هذه الإطارات هي مـا يسـمـيه كانط بـ (Schemas) أي : الأسكيمات أو الإطارات أو الشـيـامـة، أو الرسـومات (٢). (وهـي ـ حسب كـانط ـ قـاعـدة تصدر عن الخيال القبلي وظيفتها إيجاد التجانس بين المقولة والحدس) (٣) .

إن كلمة (رسم) لها في الفلسفة معان مختلفة، معنى بنائي ومعنى وظيفي، فكانت في عصر التنوير تشير إلى تعـبير فـرنسيس بيكن عن البناء الكامل، كما أنّ هذه الكلمة كـانت تدّل في هذا العصر على بناء الشكل، وكـان ليـبنتـز يتحدث عن عملية انتقال من صـورة إلى صورة Metaschematism، وبالمعنى الفني الدقـيق، فإن هذه الكلمة تشير إلى الشكل الهندسي وهذا المعنى نجـده عند فـولف، وقـد تأثر به كـانط من دون شك حتى في المجال الديني واللاهوتي كانت هذه الكلمة تستعمل للدلالة على الترسيم(٤) .

إن مـصـدر (الرسـوم) هو الخيال الترانسندنتالي، إلا أن الإشكال الحاصل هو أنّ هذا الخـيـال لا يتضمن بمنظور كانط إمكانية ترسندالية لتحقيق الإتصال بالظاهرات، أو الربط بين المقولات والظاهرات ذلك (أنّ تآليف المخيلة لا يقصد إلى أي حدس مفرد، بل فقط إلى الوحدة في تعيين الحس) (٥) مما يعني ضرورة الرسـوم فعلى (وفق الرسوم تكون الأخيلة ممكنة) (٦)، و(الرسـوم، لا أخيلة الموضوعات هي التي تؤسس مفاهيمنا الحسية المحضة) (٧)، وتهيئها للإرتباط بملكة الفهم .

---

(١) د. بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٢٥ . حول موضوع (الرسوم) للمزيد : انظر :
- Weldon, P. 299.

(٢) يترجمها بدوي، المصدر السابق، ص ٢٢٥ بـ (الإسكيمات) ويترجمها د. موسى وهبة، المحض، ص ١١٩ بـ (الشـيـامة) وتترجمها د. نازلي، النقد في عصر التنوير بـ (الرسومات)، ص ١٧٦، ويترجمهـا د. زكـريا إبراهيم، المصدر السابق، ص ٩٨ بـ (الرسـومات التخطيطية)، وقد آثرنا لفظ (رسـومـات) لأنه أقـرب إلى الروح الكانطيـة وأكـثـر تداولاً في الدراسـات الفلسفية باللغة العربية .

(٣) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٥٥ .

(٤) د. نازلي : النقد في عصر التنوير، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٥) كانط، المحض، ص ١١٩ .

(٦) كانط، المحض، ص ١١٩ .

(٧) كانط، المحض، ص ١١٩ .

إنّ مـا يمنح الخـيـال والمخيلة فاعلية في الربط بين عالم الظواهر وعالم الذهن هو الرسم، فـفـيـه يمكن أن تنطبقّ المقـولات على الظواهر، و(تطبيق المقولة على الظاهرات يصير ممكناً بفـضل التـعينّ الزمـاني الترانسندنتـالي، وهذا التـعين بوصـفه (رسمًا) لمفاهيم ملكة الفهم يتوسط في إدراج الظاهرات تحت المقولة)[1].

إنّ الرسم الترانسندنتالي، من وجهة نظر كانط هو (شرط حسي) يسمح بإستعمال مـفـاهيم ملكة الفـهم المحض، وهو (شرط قـبلي) يجعلنا نتـعّرف إلى إمكانيـة مـتنوع المعطيـات الحسية، وهو كذلك (تصور محض)، كما أنه، إلى جانب ذلك (تصور ذهني) و(تعينّ زماني) يجعل تطبيق المقولات على الظواهر أمراً ممكناً .

من ناحـيـة يعـتقد كانط أنّ رسومات (ملكة الفهم المحض هي الشروط الحقيقية الوحـيـدة التي تجعل المفاهيم على صلة بالموضوعات، وذات دلالة) (٢)، (والمقولات من دون رسـومات هي مجرد وظائف فهمية بصدد مفاهيم لكنها لا تصور أي موضوع، وتأتيـها الدلالة من الحس الذي يحقق الفهم وتقصرها في الوقت نفسه) (٣)، إننا نحقق الرسـومـات عندمـا نقـدّم لها مـعطيـات الحواس في شرطي الزمان والمكان، وتقصرها عندمـا نقف عاجزين عن تكوين معرفة نقدية قائمة على أساس معطيات العالم الحسي ومـعطيـات ملكة الفـهم، مما يعني ضرورة اللجـوء إلى وسيط يمنحها القدرة على بناء معرفة لا نفرط بأحد الطرفين، ملكة الحساسية وملكة الفهم .

في مـقـابل المقـولات وضع كانط مخططاً للرسوم، فالتقسيم الرباعي يتواصل من الأحكام إلى المقولات فالرسومات، لقد جعل كانط رسمًا لكل مقولة، أي :

١ ـ مـقـولة الكم : يضع بإزائهـا رسم (العـدد)، وهو : وحـدة التأليف الحـاصلة في متنّـوع حدس متجانس بعامة (٤)، أو هو : (تأليف الزمان نفسه في الإزكان المتتالي لموضوع) (٥)، فلكل إحسـاس درجة، أو كما به يمكنه أن يملأ الزمان عينه، أي : الحس الباطن، نسبة إلى تصور الموضوع عينه[6] .

---

(١) كانط، المحض، ص ١١٨ .
(٢) أنظر : كانط، المحض، ص ١١٧ ـ ١١٨ وص ١٢١ بتصرف .
(٣) كانط، المحض، ص ١٢١ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٢١ ـ ١٢٢ للمزيد أنظر :
- Ewing : A short commentary on kant's critique of pure reason, P. 134 - 135.
(٥) كانط، المحض، ص ١٢٠ .
(٦) كانط، المحض، ص ١٢١ .

٢ ـ مـقـولة الكيف : يضع كـانط بإزائها رسم (الدرجة) أو (الواقعية في الزمان)[١] ، ووظيـفـة الرسم هنا : تأليف الإحـسـاس (الإدراك) مع تصـور الزمـان، أو ملء الزمان [٢]، أن رسم الواقع بوصـفه (كما) شيء ما عندما يملأ الزمان هو بالضبط هذا الإنتـاج المتـصل والمتـجـانس للواقع في الزمان إذ نهبط في الزمان بالإحساس الذي على درجـة مـعيّنة حتى غيابه التام، أو نرتفع تدريجياً من (نفي) الإحساس إلى (كمية) من هذا الإحساس [٣]، وهكذا ...

٣ ـ مـقـولات الإضـافـة، وهي : الجـوهر والسببية والإشتراك، ويرى كانط أن رسم الإضـافة يعني بعلاقة الإدراكات بعضها ببعض في كل زمان (أي : بموجب قاعدة للتعين الزماني) [٤]، ويضـع بإزاء هذه المقولات الثلاث الرسومات الآتية :

أ ـ الجـوهر، ورسمه هو (الدوام) أي : دوام الواقعي في الزمان، أي تصوره مثل أس للتعين الزماني التجربي بعامة، ويدوم حين يتبدل كل الباقي، والزمان لا يجري، بل أن وجـود المتـحول هو الذي يجري فيه، فالزمان الذي هو نفسه ثابت ودائم يناسب في الظاهرة، الثـابت في الوجـود، أي الجوهر، وفيه وحده يمكن تعيين توالي الظاهرات وكونها معاً) [٥] .

ب ـ الســببية، ورسمها هو «التعاقب حسب قاعدة» الذي ما أن يطرح كيفما إتفق حـتى يتليـه أبداً شيء آخـر، فـهـو يقـوم إذاً على توالي المتنوّع توالياً خاضعاً لقاعدة [٦]، أي (التوالي المنتظم للظواهر في الزمان) [٧] .

ج ـ الإشتراك، ورسـمـه هو (التـبـادل)، أو (المعـيّة حسب قاعدة كُلية) للجواهر بالنظر إلى أعرافها هو كون تعينات الواحدة والأخرى معاً وفقاً لقاعدة عامة.

---

(١) كانط، المحض، ص ١٢٠ .
(٢) د. بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٢٥ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٢١ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٢١ .
(٥) كانط، المحض، ص ١٢١ .
(٦) كانط، المحض، ص ١٢٠ .
(٧) كانط، المحض، ص ١٢٠ .

٤ ـ مـقـولات الجـهـة وهناك ثلاث مقولات للجهة هي : الإمكان والتحقق والضرورة، ورسم هذه المقـولات الثلأث، هو (الزمان نفسه بوصفه متضايف تعين الموضوع بصـدد مـعـرفة ما إذا كان وكيف ينتمي إلى الزمان) (١)، ولكل من هذه المقـولات رسومات خاصة بها وهي :

أ ـ مـقـولة الإمكان، ورسمها : موافقة تأليف مختلف التصورات لشروط الزمان بعامة .

ب ـ مقولة التحقق، ورسمها : الوجود في زمن محدد .

ج ـ مقولة الضرورة، ورسمها : وجود الموضوع في كل زمن (٢) .

الخلاصـــة :

هكذا نجـد أن كانط يلجأ إلى مقاربات عديدة يفسر بها كيفية إنطباق المقولات على العـالم الخـارجي وهو بذلك يسـعى إلى ردم الفـجوة الحاصلة بين عالم الحس وعالم الفـهم، ومن أجل ذلك بلور لنا كانط مفهوم الربط أو التأليف بوصفه مفهوماً مركزياً في عـمليـة إتصال العالمين، عالم الحس وعالم الفهم وجعل منه مقاربة أولى وأساسية، ثم عـوّل على (وحـدة الإبصـار التأليـفـيـة الأصليـة) وعلى (المُخـيلة) و(الرسـوم أو الخطاطات) التي يمكن أن تنتظم تحتها الحدوس الحسية .

إلا أن هذه المقـاربات لوحـدها لم تكن وافـيـة لتـقـديم تفـسير كاف للعلاقة بين الحـدوس الحـسـيـة، المكان والزمان وبين ملكة الفهم فكان أن لجأ كانط إلى مقاربات أخرى أطلق عليها (مبادىء الفهم المحض)، لكننا يجب ألا نبخس حق الرسوم والمخيلة والوحـدة التأليـفـيـة، إذ أدّت هذه المقـاربات فـعلاً كبيراً في تفسير العلاقة التي كانت غامضة أمام الفلاسفة قبل كانط .

---

(١) د. بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٢٦ .

(٢) كانط، المحض، ص ١٢٠ . وانظر : د. زيدان : كنط وفلسفته النظرية، ص ١٥٦ .

الفصل السادس

مبادىء الفهم التركيبية

- المدخل
- مبدأ مسلّمات الحدس
- مبدأ إستباقات الإدراك
- مبادىء تمثيلات التجربة
  ١ ـ مبدأ دوام الجوهر
  ٢ ـ مبدأ التوالي الزمني
  ٣ ـ مبدأ المعية أو الإشتراك
- نقد المثالية
- الخلاصة

المـــــــدخل :

ومع أن كـانط قد توصل كما بينّا سابقاً إلى مقاربات تمدّ للصلات فيما بين عالم الحس وعـالم الفـهم، وكشف من الغموض الذي يلف هذه الهوة العميقة لكن المقولات لما تزل تبـحث عما يجعلهـا تنطبق إنطباقاً موضوعياً على معطيات الحواس، بل تبحث عن قـواعـد إسـتـخدامها الموضوعي وأنطباقها على عالم التجربة (فالرسوم الخيالية ـ مـثلاً ـ لا تكفي لجعل الظواهر موضوعية، وفعلها مقصور على بحث مقولة معينة من دون أن يسـوّغ تطبـيق هذه المقـولة، بيـد أنها تجعل من الممكن تأليف أحكام تركيبية أولية هي موضوعية، هذه الأحكام هي مبادىء الفهم الخالص)[1] .

إن إمكان التـجربة هو الذي يعطي لمعارفنا القبلية كلها واقعاً موضوعياً والتجربة إنما تقـوم على الوحـدة التركـيـبـيـة للظواهر، أي على تركيب لموضوع الظواهر بعامة بواسطة تصـورات، ومن دون هذا التركـيب لا تعـد مـعـرفـة، بل مجرد مجموعة من الإدراكـات وبهذا يوجـد كأسـاس للتـجـربة مبادىء، أي : قواعد عامة لوحدة تركيب الظواهر [2] .

وإذا كـانت المقـولات والرسـومات بذاتها هي عبارة عن تصورات فأن (المبادىء) ليست كذلك [3]، إنما هي قواعد صادرة عن الفهم [4] يقول كانط :

(إن وجـدتْ المبـادىء في مكان مـا فستعود ذلك إلى الفاهمة المحض وحدها، لأنها ليـست فـقط ملكة القواعد كي ما يحصل وحسب، بل أيضاً مصدر المبادىء الذي يلزم كل مـا يمكن أن يمـثل لنا مـوضـوعـاً وحسب) أن نخضـع لقواعد لأنه من دون هذه القواعد لن نعطي الظاهرات أي معرفة بالموضوع الذي يتناسب معها)[5] .

في تحليل المبـادىء يجري كـانط تميـيـزاً بين مجمـوعـتين أوليـتين من المبـادىء

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة، ص ٢٣٠، وانظر :

. - Weldon : Critique of pure Reason. P. 171.

(٢) بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٤٠ .

(٣) - Ewing : Ibid, P. 134, and see : Harthack, Ibid, P. 68.

(٤) د. وقيدي، ماهية الابستمولوجيا، ص ١٠٤ .

(٥) كانط، المحض، ص ١٢٦ .

العـائدتين إلى البنيـة الرياضـيـة للأشـياء، أي الصفات التي ستعقل بها هذه الأشياء بوصفها مقادير، وبين المجموعتّين الأُخيرتين اللتين تتيحان لنا أن ندرك ما بين الأشياء من إرتبـاط ضروري، فـالمجـموعتان الأوليتان يسميهما كانط «المبادىء» المقوّمة لأنـها تحدد ماهية الأشياء، والمجموعتان الأُخيرتان يسميهما «المبادىء الضابطة» لأنها تحدد لنا القـواعـد التي بمـوجـبـهـا تأتي الأشياء إلى الوجود، أو تبقى فيه، والحال أن هذا التـمـيـيـز ينهض فقط على أساس صفة معينة للزمان بصرف النظر عنها في المبادىء المقـوِّمـة، وتراعى تماماً في المبـادىء الضـابطة، هذه الصفة هي : لا معكوسية مسار الزمن، فـفي المبادىء الرياضية لا يتدخل الزمان إلا في التمثُّل المتعاقب لأشياء متقاربة ... أمـا في المبـادىء الدينامـية أو الضابطة، فأن التغير (أو الدوام) في الزمان يعود إلى الأشـيـاء ذاتها وكـونها مـوجودة في الزمان يفرض عليها ترتيباً للتعاقب مستقلاً أتم الأستقلال عن كونها متعلقة[1] .

وقـد يخطر على بالنا أن نضع في قـائمـة هذه المبادىء (مبدأ عدم التناقش) إلا أنّ كـانط وان اعترف بأن هذا المبـدأ التحليلي هو مثل معيار كلي شامل لكل حقيقة، إلا أنه يعد معياراً سلبياً محضاً لأنه يقضي على سائر الأحكام المتناقضة من دون أن يكون في وسـعـه أن يصع بدلاً منهـا أية أحكام إيجابيـة صحيحة فليس لهذا المبدأ سوى قيمة تحـليليـة تجـعل منه مجرد (تحـصـيل حـاصل) لا إسـتـعمال له إلا في دائرة المنطق الصـوري ومـا دامت كل مـعـرفـة منصـبـة على الواقع ـ كما لاحظنا من قـبل ـ لابد ضرورة من أن تكون تركـيبية (أو تأليفية، فليس هناك أدنى شك في أن المبادىء العليا للمعرفة لابد بالضرورة أن تكون هي الأخرى تركيبية أولية[2] .

وعلى غـرار «المقولات» يضع كانط مبادئه التركيبية القبلية التي هي مبادىء لملكة الفهم المحضة، هذه المبادىء هي :

١ ـ مبدأ مسلمات الحدس .

٢ ـ مبدأ إستباقات الإدراك .

---

(١) برهييه : تاريخ الفلسفة، جـ٥، ص ٢٦٨، وأنظر كذلك : كانط، المحض، ص ١٢٧ .

(٢) د. زكـريا ابراهيم : كـانت أو الفلسفة النقدية، ص ١٠٢ ، وأنظر د. بدوي : إمـانويل كنت، ص ٢٣٩ .

٣ ـ مبدأ تمثيلات التجربة .

٤ ـ مبدأ مصادرات التفكير التجريبي .

وهي ما تقابل المقولات الآتية :

١ ـ مقولة الكم .

٢ ـ مقولة الكيف .

٣ ـ مقولة الإضافة .

٤ ـ مقولة الجهة .

وفيما يأتي سنقدم عرضاً تحليلياً لهذه المبادىء .

أولاً ـ مبدأ مسلمات الحدس The principle Axioms of intution

يجعل كانط لمسلمات أو بديهيات الحدس مبدأ أساسياً وهو :

(أن كل الحدوس هي كميات ممتدة) (١)، وقد سبق له أن عدّ الزمان والمكان حدسين محضين وقبليين يمثلان مرتكزين أساسيين في بنية الحساسية، وقد حاول أن يطبق هذه الحدوس على المقولات التي اشتقها بوصفها مفاهيم للفهم المحض، لكنه لم يستطع ذلك بسبب الفرق الشاسع بين حدود الحساسية ومقولات الفهم في المصدر والبناء، فأراد أن يقارب بين الحدسين (المكان والزمان) بوصفهما صوراً للحساسية وبين مقولة الكم في مبدأ مسلمات الحدس فعدّ هذه الحدوس كميات أي (ما يمكن معرفته معرفة عددية دقيقة حسب مقياس معين وأتخاذ وحدة معينة لهذا المقياس) (٢) كما أنه عدّ هذه الحدوس ممتدة، فهناك زمن ممتد وكذلك هناك مكان ممتد، أو إمتداد مكاني وآخر زماني، بمعنى وحسب تمظهرات مقولة الكم، هناك مكان واحد وزمان واحد، وهناك مكان متكثّر، وهناك جملة من المكان وجملة من الزمان ممكنة القياس، بمعنى أن كانط يريد أن يقول (إنك إذا أردت أن تقيس خطا ما فيجب أن تدرك أجزاءه واحداً بعد آخر ثم تضّمها جميعاً في إدراك واحد لا يقصد أنك حين تدرك خطا يجب

---

(١) كانط، المحض، ص ١٢٨ . انظر : Harthnack : Ibid, P. 68. -

(٢) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٥٧ .

أن تبـدأ بالتـمييز الأول مثلاً ثم تنتقل ببصرك إلى التالي وهكذا ...، وإنما يقصد أنه لا يـمـكن تحليل طول الخطأ إلى أجـزاء وبالمثل تتناول أبعـاده الأخـرى وشكله في المكان وحجمه وزمانه)[١] .

ثانياً ـ مبدأ إستباقات الإدراك The principle of Anticipation of Perception

بأزاء مقولة الكيف، وأمتداداً بها إلى منظومة المبادىء، يضع كانط مبدأ (إستباقات الإدراك)، وينص هذا المبـدأ على أن (في جميع الظاهرات الواقـعي، الذي هو مـوضـوع للاحساس، هو ذو كمية مشتدة، أي : ذو درجة)[٢] .

إن الإستباق Anticipation، أو التوقع (٣)، هو توقّع حالة معينة ممكن أن تحدث، وهذا التـوقع ينطوي على مـعرفة له، بمعنى، وحسب تعبير كانط، أنه : كل معرفة بها يمكنني أنْ أعرف وأعينّ قياسياً ما ينتمي إلى المعرفة[٤] .

إلا أن الفـهم لا يخدم كـانط، فـهـو يفـرّق بين المعرفة القبلية والمعرفة التجريبية، ويعـتـقـد أن الظاهرات لا يمكن أن تعرف على نحو قبلي لا سيما وأنها تنطوي على ما هو بعـدي، ولما كـان الإحـساس هو عنصر الإدراك ومادته الأساسية فأنه لا يمكن أن ينطوي على أي إستباق يفهم على أنه معرفة .

يضع كـانط فـهما آخـر لمبـدأ إستباقات الإدراك، ويقوم فهمه على إفتراض وجود تعيّنات محضة Pure determinations، أي أنّ الظاهرات (تعـينات محضـة، في المكان وفي الزمـان تصور (٥) قـبليـاً مـا يمكن أن يعطى دائمًا بعـدياً في التـجربة) (٦) وهذه التـعـينات (هي خـصائص قبلية لا تشتق من الخبرة، وإن كانت تنطبق على كل خبرة جـزئيـة مناسبة)، وتنطوي على إمكانية تحقيق الإتصال فيما بين عالم الظواهر وعالم الفهم، لإنتاج معرفة تركيبية بالعالم الخارجي قائمة على أساس قبلي ..

---

(١) Paton, Op. Cit., 11, P. 54. - أورده د. زيدان : المصدر السابق، ص ١٥٧ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٣٠ .
(٣) هكذا يترجمها د. بدوي : المصدر السابق، ص ٢٤١ .
(٤) نص لباتون أورده د. زيدان : المصدر السابق، ص ١٠٩ . .Paton : II, P. 139 -
(٥) Represent -
(٦) أنظر : .Paton : II, P. 139 -

ثالثاً ـ مبادىء تمثيلات أو نظائر التجربة Anologies of Experience

أ ـ بعد مبدأي : مسلمات الحدس واستباقات التجربة يأتي كانط إلى مبدأ آخر هو مبدأ تمثيلات التجربة أو نظائر التجربة، وهو (المبدأ العام الذي يحدد قبلياً القواعد التي تعين الرابطة بين الظواهر في الزمان)[1] .

ولكن ما هي النظيرة ؟

النظيرة : كلمة مستعارة من العلوم الرياضية، النظيرة الرياضية هي (النسبة الرياضية)، وهي صيغة تعبر عن تساوي نسبتين كميتين، فإذا كان لدينا كميّتان تحوي كل منهما حدين، واعطينا ثلاثة حدود منها أمكننا أن نؤلف الحد الرابع. ويعقد كانط مشابهة بين النظيرة الرياضية والنظيرة الفلسفية أو نظيرة الخبرة فالأخيرة صيغة تعبر عن تساوي علاقتين كيفيتين، فإذا أعطينا ثلاث صفات بينها علاقة معينة أمكننا أن نعرف معرفة (قبلية) نوع علاقة الصفة الرابعة بالصفة الثالثة قياساً بعلاقة الصفة الثانية بالأولى التي لدينا، ويعطي كانط معنى ثانياً لنظيرة الخبرة فهناك وجه شبه بين شيء ما أو ظاهرة من جهة وبين المقولة الخالصة (المحضة) من جهة أخرى، هناك وجه شبه بين ما نسميه (جوهراً) في عالم الظواهر من جهة وبين (التعريف المنطقي للجوهر) وهو ما يكون موضوعاً منطقياً وما لا يمكن أن يكون محمولاً[2] .

ب ـ ثمة إرتباط أساسي وجوهري بين مفهومي النظيرة والزمان إذ تقوم نظائر الخبرة لديه على تحليله الزمان فهي متعلقة بموضوعات الإدراك الحسي، أي عالم الظواهر، لكن هذه المضوعات، سواء أكانت أشياء جزئية أم حوادث طبيعية، إنما يتحدد وجودها في مكان وزمان، ثم ترتبط النظائر بالزمن، عندما يوجد موضوعها في «من» بالضرورة، ولما كان للزمان ثلاثة أوجه الماضي والحاضر والمستقبل فإن له ثلاث علاقات توجد فيها الأشياء وهي : الثبات أو الدوام والتعاقب أو التالي والمعية أو المصاحبة في الوجود [3]، وكانط يطلق على هذه

---

(١) د. نازلي : النقد في عصر التنوير، ص ١١٨ .
(٢) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٣) د. زيدان : المصدر السابق، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

الأنحـاء أو الوجـوه «علاقات زمنية» بين الظواهر، أي علاقات تحدث في زمن، ولا يمكن لهذه العلاقات أن توجد من دون زمن، (ومعرفتنا لهذه العلاقات الزمنية لا تسـتمد من الخبرة الحسية، وإنما نعرفها معرفة قبلية) (١)، وما يؤكد عليه كانط هنا هو (أن تعـيين وجـود الأشـيـاء في الزمـان لا يمكن أن يحصل إلا بربطها في الزمان بعامة) (٢)، ومع ذلك فإن عـمليـة تعـيين الأشـياء ترتبط من جهة أخرى بالعـالم الموضـوعي على نحو قبلي، (أن أحوال الزمان الثلاث هي : الدوام والتتالي والمعـيـة وعليه فثمة (مواعد ثلاث) لجميع العلاقات الزمنية للظاهرات بموجبها .. يمكن أن يتـعين وجـود كل ظاهرة بالنسـبـة إلى وحـدة كل الزمـان وتسبق هذه القواعد كل تجربة وتجعلها بدءاً ممكنة) (٣) .

ج ـ يذهب كانط إلى أن هذه المبادىء لا تهتمُ بالظاهرات وبتأليف حدسـها التجريبي بل بـ (الوجـود) فـقط وبـ (عـلاقـتها بعضها ببعض بالنظر إلى وجودها هذا، وهنا دليل على الصلة التي يطمح كانط إلى عقدها بين عالم الظواهر المتعين وعالم الفهم، ولابد من الإشـارة إلى (أن تمثيل التجربة لن يكون إذاً سوى قاعدة بموجبها تنتج وحدة التجربة من الإدراكات وتطبق على الموضوعات (الظاهرات) لا بوصفها مبدأ انشائياً ومقوماً، بل بوصفها مبدأ تنظيمياً فقط) (٤)، ذلك لأن (لهذه المبادىء دلالة ومـصـداقـيـة ليس بوصـفـهـا مبادىء لاستعمال الفهم الترانسندنتالي، بل فقط بوصـفـها مبادىء لاستعمال الفاهمة التجربي حصراً) (٥)، وهذا مـا يضفي عليها قـدراً من الأرتبـاط بالعـالم خـارج الفـهم، لكن العـالم الموضوعي، عالم الظواهر وليس الظواهر في ذاتها .

إن مـا يؤكـد عليـه كـانط حـول هذه المبـادىء (هو أنها تهدف إلى شروط وحدة المعـرفـة التجريبية في تأليف الظاهرات ... وبهذه المبادىء الثلاثة نجمع الظاهرات

---

(١) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٦٦ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٣٥ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٣٥ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٣٦ .
(٥) كانط، المحض، ص ١٣٦ .

فـقط بالتـمثيل مع وحدة المفاهيم المنطقية والكلية) (١)، (ثم نسـتخدم (المقولة) في المبـدأ نفـسـه، أما في التنفيذ أي : في التطبيق على الظاهرات) فيجب أن نضـع محل هذا المبـدأ (رسم المقـولة) بوصفها مفتاح استعمال المقولة نفسها) (٢)، بمعنى أن الظاهرات يجب ألا تُدرج تحت (المقـولات) بل تحت (رسـومـات المقولة) وحسب، ولا تنطبق إلا على الظواهر لأنها الوحيدة من بين المعارف الممكنة .

إن المبـدأ العـام للتمثيلات يستند إلى وحدة الإبصار الضرورية لكلّ وعي تجريبي ممكن للإدراك في كل زمن، وكـذلك يسـتند مـبـدأ التـمثيلات إلى الوحدة التأليفية لكل الظاهرات في علاقتها بالزمان، ولما كانت أحوال الزمان ثلاثا كما أشرنا سابقاً، ولما كان الزمـان أنمـوذجـاً لتطبـيق مبادىء التمثيلات عليه، فأنَّ ما يقابل أحوال الزمان ثلاثة مبادىء هي : مبدأ دوام الجوهر ومبدأ التوالي الزمني، ومبدأ المعيّـة (٣) .

١ ـ مبدأ دوام الجوهر :

يقـوم هذا المبدأ على عـدّ الجوهر «يدوم مع كل تبدّل للظاهرات، وكميته في الطبيعة لا تزداد ولا تنقص»، والمهم هنا في هذا المبـدأ هو فكرة الدوام Duration فكل الظاهرات تقع في زمان وما يجب عمله هو أن نبحث في الظاهرات، أو موضوعات الإدراك عما هو ثابت ليـشير إلى الزمـان بعامة، والدائم هنا هو : (الذي تتعين جميع علاقات الظاهرات الزمنيـة بالنسـبـة إليه وحسب، وهو الجوهر Substance في الـظـاهرة، أي : «واقـعي الظاهرات التي يظل دائمًا هو هو أسـاً لكل تبـدل، وحيث أنه لا يمكن لهذا الجوهر أن يتبدل في الوجود فإن كميته في الطبيعة لا تزداد ولا تنقص) (٤) .

لقـد حاول كانط أن ينأى بنظريته في المعرفة عن التعامل مع الزمان في ذاته بمنح نظريتـه قـدراً من الإرتبـاط بعـالم الحـسـاسية، فالتبدل في الظاهرات لا يحدثُ إلا في زمـان، وبدوام هذا الزمـان (يحظى الوجـود في مختلف أجـزاء التسلسل الزمانى بكم

---

(١) كانط، المحض، ص ١٣٦ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٣٧ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٣٧ .

يسميه كانط : مدة) (١)، ولما كان (الدائم في كل الظاهرات هو أس كل تعين زمني فإنه لا محالة شرط إمكان كل وحدة تأليفية للإدراكات، أي التجربة)(٢) .

إنَّ الدوام حسب منظور كانط يمثل الشرط الضروري الذي يسمحُ وحدهُ للظاهرات بأن تكون قابلة للتعين بوصفها أشياء أو موضوعات في تجربة ممكنة .

٢ ـ مبدأ التوالي الزمني وفقاً لقانون السببية والمسبب :

مثلما كان للظاهرات دوام في الزمان تتعين بموجبه، كذلك في تتابعها توال تتعين بموجبه، وهذا التوالي قائم على أساس ما هو سابق وما هو لاحق، ويرى كانط أن كل التغيرات تحصل وفقاً لقانون اقتران السبب والمسبب، وهذا يعني أن الظاهرات تتوالى، أي : أن حالة الأشياء تكون في زمن ما يكون ضدها في زمن سابق، فكانط إذ يقرن إدراكين في الزمان، وهذا ما لا تستطيع الحساسية ولا حدوسها القيام به في الزمان ولا في المكان، إنما هو إمتياز لقدرة أُخرى هي : المُخيلة التأليفية التي تُعيّن الحس الباطني Inner sense بالنظر إلى العلاقة الزمنية (٣) أي : أن الإنسان يعي بأن مخيلته تضع حاله من قبل وحاله من بعد، وهكذا ...

وهنا يرى كانط (أن العلاقة الموضوعية للظاهرات المتتالية غير متعينة من خلال مجرد الإدراك وحتى يمكن لها (أي : العلاقة الموضوعية) أن تُعرف كمتعينة، يجب أن نُفكّر العلاقة بين الحالتين، بحيث يتعين بالضرورة أيهما يجب أن تكون الأولى وأيهما يجب أن تكون الثانية، وأن العكس لا يكون) ؟(٤)

تفكير العلاقة إذا مهمة لابد لها من أجل تعيين الضرورة التي تربط بين طرفي التتالي، وهذه المهمة لا تحققها «المخيلة» بل هي شأن «مفهوم فاهمي محض» وهو هنا بحسب كانط مفهوم «علاقة السبب بالمسبب» الذي يُعين الأول (طرف التالي) الثاني

---

(١) كانط، المحض، ص ١٣٧ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٣٨ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٤٠ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٤٠ .

(الطرف الآخـر) في الزمـان نتـيـجـة له وليس فـقـط كشيء يمكن له أن يسـبـقـه في المخيلة[1] .

إن الإزكـان، أو الإستيعاب Apprehension له توال ذاتي للظواهر، إلا أن فـيـه لا يمكن تميـيـز ظاهرة تتلو أخـرى فهو لوحده، حسب كانط «لا يثبت شيئاً بصدد ربط المتنوع Manifold في الموضـوع لأنه اعتباطي تماماً» (٢) وهـذا يعني أننا يجب أن نلجأ إلى توال مـوضـوعي للظواهر، فـفـيـه (نسق مـتنوّع الظاهرة الذي يجعل إزكـان شيء (يحصل) يتلو إزكان شيء آخر (تقدم) تبعاً لقاعدة)[3] .

إن التـوالي الموضوعي للظواهر هو الآخر يفرض قدرة أخرى هي «الضرورة» التي تلجأ الظاهرة في الزمـان لأن تتـبعها ظاهرة أخرى، أي (٤) : (ثمـة تقدّم بالضرورة من زمن معطى إلى الزمن التالي المتعين، ولأن ثمة شيئاً يتلو فإنه يجب أن أُقيم الصلة بينه وبين شيء آخـر بعـامـة يتـقـدمـه فيتلوه هو بموجب قاعدة أي بالضرورة حتى تشير الحادثة المشروطة بالتأكيد إلى شرط ما إنما هو شرط يعين الحادثة) .

عندمـا يحاول كـانط ألا يكتـفي بإزكان توالي الظواهر فإنه يلجأ، إضافة إلى ذلك، إلى مـبـدأ التـوالي الزمني ليربط الإزكـان بالعـالم الموضوعي من خلال الظواهر، يقول كـانط أجـعل تأليـفي الذاتي (في الإزكـان) موضوعياً بالنظر إلى قاعدة بموجبها تتعين الظواهر في تواليـهـا، أعني : في كـيـفـيـة حـصـولها من خلال الحالة المُتقدمة، وبهذا الإفتراض وحده إنما تكون تجربة ما يحصل نفسها ممكنة[5] .

وهكذا نجـد أن بين تصـوراتنا نسقاً تُشير فيه الحالة الحاضرة (بوصفها حاصلة إلى حـالة متقدمة بوصفها (لازمة) لتلك الحادثة المعطاة وهي لازمة غير متعينة بعد إلا أنها على صلة بتلك الحـادثة تعـينهـا بوصـفـهـا (نتـيجة) وتربطها بها بالضرورة في التسلسل الزمني .

---

(١) كانط، المحض، ص ١٤٢ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٤٢ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٤٢ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٤٣ .
(٥) كانط، المحض، ص ١٤٤ .

إن ما يولد من الظاهرات وما يكون إنما هو بسبب الفاهمة، وأول (ما تقوم به هو جعل لا تصور الموضوعات واضْحاً، بل تصور موضوع بعامة ممكناً وهي تقوم بذلك من جراء كونها تنقل نسق الزمان إلى الظاهرات المتقدمة موقعاً معيناً في الزمان من دونه لا تكون متفقة مع الزمان نفسه الذي يعين قبلياً لكل جزء من أجزائه موقعه الخاص به[1].

نلاحظ إذاً أن كانط يعتقد أن الفاهمة تتضمن بفضل وحدة الإبصار الشرط القبلي لإمكان التعيين المتصل لكل مواقع الظاهرات في الزمان بواسطة سلسلة الأسباب والمسببات، إذ تؤدي الأولى إلى وجود الثانية بالضرورة وتجعل بذلك المعرفة التجريبية للعلاقات الزمنية صادقة في أي زمن (كليا) ثم صادقة موضوعياً .

٣ ـ مبدأ المعية أو الإشتراك :

يقوم هذا المبدأ على (عدّ كل الجواهر من حيث يمكن أن تحركه معاً في المكان هي في تبادل تام) [2]، وهذا بالطبع ما يراه كانط ولكن ماذا يعني إصطلاح المعية ؟

إن المعية Co-Existence هي الوجود معاً، وهي زمانية ومنطقية، والزمانية هي الحدوث في زمان واحد، وهي مطلقة ونسبية، الأولى تعني وجود الأشياء في زمان واحد، متجانس الأجزاء لا تختلف أوقات وجودها فيه بإختلاف موقف الشخص الذي يلاحظها، وأما النسبية فهي : وجود الأشياء، معاً في زمان محلي واحد وهي تختلف كما قال (آينشتين) بإختلاف مكان الشخص الذي يلاحظها، مثال ذلك إنَّ ظاهرتين موجودتين ما بالنسبة إلى ملاحظ أرضي لا تكونان كذلك بالنسبة إلى ملاحظ ينظر إلى هاتين الظاهرتين من كوكب آخر[3].

لقد لجأ كانط إلى مبدأ المعية وجعل منه تماثلاً أو نظيرة من نظائر الفهم (ملكة الفاهمة) التي من خلالها يتم الإتصال بمعطيات العالم الخارجي وتفسير وجود الظواهر وتحقق إمكانية العلوم الطبيعية على أسس قبلية[4].

---

(١) كانط، المحض، ص ١٤٩ .
(٢) د. صليبا، جميل : المعجم الفلسفي، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١، جـ٢، دار الكتاب اللبناني .
(٣) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٩٩ . بيروت، ط١، ١٩٧٩ .
(٤) كانط، المحض، ص ١٤٩ .

وسبق لكانط أنه لم ير سبيلاً لإدراك الزمن المطلق إدراكاً حسياً مثلما لا نستطيع إدراك الزمان نفسه (١)، ولكن يمكننا إدراك هذه الحوادث إدراكاً حسياً(٢) .

إن المخيلة تؤلف في الأركان إدراكين لكنهما ليسا معا بضرورة معينة حتى يمكن لهما أن يليا أحدهما الآخر بالتبادل، وهذا يعني أننا بحاجة فعلاً إلى قدرة أخرى، أو إلى (مفهوم فاهمي يتعلق بتتالي التعينات المتبادلة في الأشياء الموجودة خارج بعضها بعضا لكي تقول أن تتالي الإدراكات المتبادل مؤسس على الموضوع ولكي تتصور، من ثم، المعيّة موضوعية)(٣) .

وبذهب كانط إلى أبعد من ذلك فيرى ضرورة اشتراك الإدراكات فيما بينها في الزمان إشتراكاً فاعلاً، لهذا يقول (يجب على جميع الجواهر في الظاهرة، من حيث هي معاً أن تشترك في الفعل المتبادل فيما بينها اشتراكاً شاملاً) (٤)، ومن دون الإشتراك كل إدراك للظاهرات، في المكان مثلاً، ينفصل عن الآخر وسلسلة التصورات التجربية تعاود البدء مع كل موضوع جديد من دون أن يمكن للمتقدم أن يكون على أي ترابط معه أو على أي علاقة زمنية به .

بعد أن حاول كانط أن يمدَّ الروابط بين عالم الفهم وعالم الواقع رأى أن ينظم طبيعة العلاقة فيما بينهما، فأتصال الفهم بالأشياء (يجب أن يراعي الشروط التي بدونها لا يمكن أن توجد تجربة ويجب أن يدرك في عيان ويدرج تحت تصور ... إذ يكون الشيء ممكناً إذا كان تصوره يتفق مع الشروط الشكلية للتجربة بمعنى أن يكون لهذا التصور للشيء واقعاً موضوعياً أو حقيقة ترانسندنتالية) (٥) كما (أن لمعرفة واقعية الأشياء لابد لنا من إدراك حسي، أي إحساس مشعور به، والمقصود أن الشيء يكون واقعياً إذا كان مرتبطاً بأي إدراك حسي واقعي متفق مع النظائر (٦)، ومن هنا

---

(١) د. زيدان : المصدر السابق، ص ١٩٩ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٥٠ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٥٠ .
(٤) د. بدوي، إمانويل كنت، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، ود. زكريا إبراهيم : كانط أو الفلسفة النقدية، ص ١٠٦ .
(٥) د. بدوي، المصدر السابق، ص ٢٥٧ .
(٦) د. بدوي، المصدر السابق، ص ٢٥٨٨ ـ ٢٥٩ .

نلاحظ أن (مـا يتأكـد إتفـاقـه مع الشروط العادية للتجربة وما يتماسك بموجب هذه الشروط يوجـد بالضرورة، أي أن يكون وجـوده ضرورياً، ولابد من الإشارة إلى أنه لا يمكن إسـتنتاج ضرورة الوجود من مجرد التصور ذلك أننا لا نستطيع أن نعرف قبلياً أي ضرورة غير ضرورة الإرتبـاط بين الظواهر، أي قـانون العليـة، بمـعنى أن مـعيار الضرورة هو قـانون العليـة، وهو قانون للتجربة، وللتجربة وحدها، وينطبق فقط على عالم الظواهر)[1].

إن أبرز مـا تتـسم به هذه المبـادىء هي أن وظيـفتها تكاد تكون محدودة (فحين نقـول عن شيء ما أنه ممكن أو واقعي أو ضروري لا نضيف معلومات جديدة إلى هذا الشيء مـثلما نقول عنه أنه متحرك أو له خاصة الجذب، أحمر ... الخ، إنما نقول شيئاً عن صلة ذلك الشيء بنا)، يقـول كـانط : (تمتاز مقولات الجهة بأنها لا تزيد أي تعين للمـوضـوع على المفـهوم الذي تلحق به كمحولات بل تعبرّ عن العلاقة بالملكة المعرفية وحسب، فبعد أنْ يكتمل مفهوم شيء تماماً يظل بإمكاني أن أسأل بصدد هذا الموضوّع هل هو ممكن وحسب، أم متحقق، كل ذلك وفي هذه الحالة هل هو ضروري أيضاً)[2].
ولهذه المبادىء حسب كانط وظيفتان هما :

١ ـ إنَّ هـذه المـبـادىء هـي مجرد شروح لمـفـاهـيم الأمكان والتـحـقق والضرورة في استعمالها التجريبي .

٢ ـ إنهـا تقصر جميع المقـولات على مجرد اسـتـعمالها التـجـريبي من دون الإقـرار بالاستعمال الترانسندنتالي أو السماح به[3] .

ويتـصف هذا الإشـتراك من منظور كانط بأنه «دينامي» أي بلا توسط أو بتوسط أي شيء حتى يمكن للمعية أن تعرف في أي تجربة ممكنة .

---

(١) د. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٥٣ .
(٣) كانط، المحض، ص ١٥٣ .

رابعاً ـ مبدأ مصادرات الفكر التجريبي :

تعرف المصادرة Postulate بأنها : قضية يطلب التصديق بها لحاجة العقل إليها في الإستددلال، وقد سميت هكذا لأن المُتعلم يراود على التسليم بها من دون برهان مع أنها ليست بينّة في نفسها فهيَ بهذا المعنى مقابلة للبديهية AKIOM لأن الأخيرة بينة في نفسها (١)، وإذا كانت البديهيات ممكنة التطبيق في كل العلوم، فإن المصادرات خاصة لعلم من دون غيره، أي لكل العلوم بديهيات، ولكن لكل علم مصادراته الخاصة به .

لقد سبق لكانط أن ميّز بين ثلاثة مفاهيم في مقولة الجهة، وهي : الأمكان والوجود (أو الواقع) والضرورة، وعلى ذات التقسيم لجأ إلى تقسيم مصادراته فأشتق منها ثلاثة وجعلها أساسية في توثيق صلة الفهم بالعالم الحسي. وهي :

أ ـ الإمكان : فما يتفق مع الشروط الصورية للتجربة (لجهة الحدس والمفاهيم) هو : ممكن .

ب ـ ما يتماسك بموجب الشروط المادية للتجربة (للإحساس) هو متحقق أو واقعي .

ج ـ ما يتعين (يتحدد) ترابطه أو اتفاقه مع المتحقق (الواقع) وفق الشروط الكلية للتجربة يكون (أو يوجد) بالضرورة (ضروري)(٢) .

بهذا يكون كانط قد إستنبط مبادىء العلم الطبيعي البحت إستنباطاً قبلياً مستنداً إلى مقولات الفهم وتأليفاته القبلية التي تجعل التجربة نفسها ممكنة، فالقوانين التي إكتشف كانط أنها تحكم ما في الطبيعة من تغير إنما هي «قوانين الظواهر» ومن ثم أنها قوانين ترتد إلى الفهم، ما دام الفهم وحده هو الذي يستطيع أن يجعل من التغيرات الطبيعية تغيرات خاصة بالتجربة، بوصفها معبرة عن الوحدة التأليفية للظواهر، وبعبارة أخرى : يقرر كانط أن وحدة التجربة إنما تكمن في الذهن وحده، ما دامت شروط الطبيعة إنما تستنبط من شروط الفكر، وهكذا جعل كانط الأشياء تدور

---

(١) د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي، جـ٢، ص ٣٨٠ .

(٢) كانط، المحض، ص ١٥٢ ، إستعنت بترجمة د. بدوي : إمانويل كنت، ص ٢٥٤ في إضافة بعض مفردات ترجمته للمبادىء الثلاثة أعلاه لغرض التوضيح .

حـول الفكر، بعـد أن كـان الناس يتـوهمون أن الفكر هو الذي يدور حـول الأشـياء فأحدث بذلك ثورة كوبرتيقية هائلة في مضمار نظرية المعرفة[1] .

نقد المثالية :

بعـد أن فـرغ كـانط من تحـديده مـبـادىء الفـهم المحض بما يؤكد ارتباط هذه المبـادىء بالعالم الموضوعي لجأ إلى نقد المثالية التي لا تتفق ومثاليته النقدية، فقد كان أمـامـه نوعـان من المثـاليـة، يقـول كانط : المثالية هي : النظرية التي تعلن أن وجود الأشـياء في المكان خارج عنا هو : أما مجرد أمر يثير الشك ولا يدلل عليه وأما مغلوط ومحال .

إن المثالية الأولى هي مثالية ديكارت الإحتمالية Problematic Idealism التي تعلن أن زعما تجـربيا هو «أنا موجودو وحده لاشك فيه، والمثالية الثانية هي مثالية باركلي ١٦٨٥ ـ ١٧٥٣ الدغمائيـة التي تعلن أن المكان مع جميع الأشـيـاء التي هو لها مثل شرط لا ينفصل عنها أمر ممتنع في ذاته وأن الأشياء في المكان هي مجرد تخيلات[2] .

لقـد أكـد كانط مثاليته النقدية على نحو مستقل عن هاتين المثاليتين، وهو إذ يؤكد ذلك إنما يؤكـد شرعـيـة تأثير العالم الخارجي في الإنسان وتقبل الأخير لها من جهة، وتأثير عناصر الملكة المعـرفـيـة لدى الإنسـان في هذه المعطيات من جهة أخرى، أي أن مـثـاليـة كانط تعتمد على مصدرين للمعرفة بدلاً من مصدر واحد كما كانت المثاليات السـابقـة عليـه، وبهذا دفع كـانط نظرية المعـرفة إلى مرافىء جديدة إكتسبت قدراً من الأصالة والإبداع .

---

(١) د. زكريا ابراهيم : كانت أو الفلسفة النقدية، ص ١٠٧ .
(٢) كانط، المحض، ص ١٥٥ ، وحـول النقد انظر : د. زيدان، كنط وفلسفته النظرية، ص ١٤٤ وما بعدها .

الخلاصـــة :

إن هذه المبادىء تعد الإطارات العامة التي تفسر الكيفية التي يتم بموجبها إنطباق المفـاهيم القـبلية على معطيات التجربة، الأمر الذي يبين كيفية إتحاد وظيفة الحساسية والفهم في صياغة المعرفة النقدية، أن مصدر هذه المبادىء هو الفهم ولذلك هي مبادىء محضـة وبها يكون كـانط قـد أجاب عن ثاني الأسئلة التي طرحـهـا على نفـسه ونذر مشروعه الفلسفي للإجابة عليها ألا وهو كيف يكون العلم الطبيعي المحض ممكناً ؟[1]

بهذه المبـادىء نكون قد (جاوزنا حدود الإقرار بقيام المعرفة كواقع، وبلغنا مرتبة تفـسير الكيـفـيـة التي تتم بها تلك المعـرفة، ومن جهة أخرى، فإننا نكون قد بينا أن مـعطيـات الحـسـاسية، وهي بعدية، تلتقي، في وحدة المعرفة، مع مقولات الفهم وهي قبلية، وأن التنافر الظاهر بين طبيعتيهما لا يمنع من إتحاد عملهما)[2] .

---

(١) يمـيـز كـانط بين علم الطبـيـعـة المحض أو القـوانين الطبـيعية الكلية أو المحضة وبين القوانين الطبـيـعـيـة التجريبية، فالأولى هي مبادىء قبلية للفهم وهي، بالإضافة إلى ذلك، تمثل الشروط القـبليـة للثـانيـة، والتي هي عـبـارة عن تعميمات تجريبية وليست كلية أو موضوعية بالمعنى الدقيق .

(٢) د. وقيدي، ما هي الابستمولوجيا، ص ١٠٥ .

الخاتِمَة

وبعـد فإن مـا تم إنجـازه حـتى الآن في الفصول الستة الماضية يعبر عن مفاصل نظرية المعـرفـة النقـدية لدى كْـانط، لقد كانت المعرفة قبل كانط شتاتاً لا يعبر إلا عن إتجـاه واحـدي في تفسير أصل المعرفة وطبيعتها فهناك الإتجاه العقلي الذي يردّ أصل المعـرفـة إلى العـقل ويجعل من الأخير الأداة الوحيدة لتوليد المعرفية، بينما على العكس من ذلك هناك الإتجـاه التـجـريبي الذي يضـع للحواس أثراً كبيراً في إنتاج المعرفة وأن طبـيـعـة المعـرفـة هي حـسية وأن فعل العقل ليس سوى أثر ثانوي من شأنه تنظيم معطيات الحواس .

لقـد نظر كانط إلى الجوانب النقدية في الفلسفات التي سبقته وعمل على تقديمها في تفـسير جـديد ينأى بعيداً عن النزعة الواحدية التي تنفرد بأصل المعرفة وطبيعتها ولا ترى فيه إلا التفسير الوحيد الذي يمثل حقيقة المعرفة .

إن التـفسْير الكانطي الجديد يستند إلى مجموعة من المفاهيم الأجرائية التي تسـهم في توليـد المعـرفـة النقدية، وقد قسم كانط هذه المفاهيم حسب الملكات الأساسية التي للإنسان، وهي ملكة الإحساس وملكة الفهم، أو الحساسية، والفاهمة .

لملكة الإحـسـاس عناصر أسـاسـية هي الزمان والمكان، فكل معرفة لابد أن تقترن بزمان محدد ومكان معين ويجعل كانط من هاتين الصورتين حدسين حسيين محضين وقـبليين لهما أثرهما الأسـاس في نظرية المعـرفـة النقـدية، إن الحـسـاسـية أو ملكة الإحساس هي قدرة لتلقي الإنطباعات المتأتية إلينا من العالم الخارجي .

وإذا كـان التـجـريبـيـون يضـعـون ثقتهم المطلقة بالحواس في خلق المعرفة فإن العقليين يضـعون ثقتهم كذلك في العقل ويعدونه المصدر الأساس لمعرفتنا، إلا أن كانط لم ينظر إلى الموضـوع من هذا المنظور بل راح يبـحث بين مطاوي (الفهم) لأستكشاف عناصر إمكاناته في توليـد المعـرفة فوجد أن المعرفة هي عبارة عن حكم على شيء معين فلجأ إلى دراسـة الأحكام في بيـان العـلاقة بين الفهم بوصفه ملكة وقدرة وبين الحكم وأثر الأخير في الأولى ثم عـرضنا تفـصـيلياً للأحكام، لقد توصلنا مع كانط إلى لائحة الأحكام التي تمثل الأسـاس للائحـة المقـولات إذ قسم الأحكام إلى أربع مجاميع هي : الـكـم، الكيف، الإضـافـة والجـهـة، وكـذلك الأمـر في لائحـة المقـولات : الكم والكيف

والإضافة أو العلاقة والجهة .

مـثلما هو الأمـر في المقـولات درسنا في الفـصل الرابع العـلاقـة بين ملكة الفـهم والمقـولات، أن المقولات هي المفاهيم القبلية التي تنتظم فيها معطيات الحس المتأتية إلى الفهم من العالم الخارجي، بمعنى إنها تهيء لملكة الفهم المناخ لأن يفكر هذه المعطيات، وبما أن المقـولات هي من وضع رجل ثاقب البـصيرة هو أرسطو كـان لابد من إجراء مقارنة بين مقولات أرسطو ومقولات كانط، ثم بيان الخصائص الأساسية التي تتميز بها مقولات كانط .

لقد تابعنا مع كانط مجمل المفاهيم القبلية التي تسهم في توليد المعرفة مثل عناصر الإحـسـاس (المكان والزمـان) وعناصر الفهم (الأحكام والمقولات) وبقدر ما قدّم كانط هذه المفـاهيم بوصـفـهـا شروطاً قـبليـة لتوليد المعرفة النقدية فإنه لم يكشف لنا عن الكيفية التي تكون بها هذه المفاهيم شروطا قبلية لا مكان التجربة فكان من الضروري اللجـوء إلى عـدد من المقـاربات التي تصل العـلاقة بين معطيات العالم الخارجي وبين مـفـاهيم الفـهم القـبليـة، أي : الزمـان والمكان والأحكام والمقـولات فدرسنا عدداً من المفـاهيم مـثل مـفهوم (التأليف أو الربط) ومفهوم (وحدة الإبصار التأليفية) ومفهوم (الرسم أو الخطاطة أو الشـيم بوصـفـها أدوات للربط والتقريب بين العالم الخارجي وعالم الفهم) .

ولـكـن هـل مـن الممكن أن يقـدّم لنا كل هذه المفـاهيم والمقـاربات إمكاناً لجـعل التجربة موضوعية بقدر أو بآخر ؟

ليس ذلك بمـمكن إلا من خـلال التـوفـر على مـبادىء قبلية أخرى تمنح التجربة القدرة الموضوعية على الإنطباق على معطيات العالم الخارجي من جهة والمفاهيم القبلية الأخـرى مـثل : الزمـان والمكان والأحكام والمقـولات ومـقاربات الربط أو التأليف من جهة أخرى، وهذا ما تم تناوله في الفصل السادس والأخير من هذه الرسالة، فقد تمت دراسـة مـبـادىء الفاهمة المحضة مثل مبدأ مسلمات الحدس ومبدأ إستباقات الإدراك ومبدأ تمثيلات التجربة ومبدأ مصادرات الفكر التجريبي .

إن هذه المبـادىء هي مبادىء الفهم التي تم بموجبها إنطباق المقولات على الأشياء

في العـالم الموضــوعي وتحـقـيق الصلة الواقـعـية بين مكونات الفهم ومكونات العالم الخارجي .

إن تأكيد كانط على هذه المبادىء إلى جانب المقولات والأحكام ومقاربات الربط بين الفــهم والإحساس (المكان والزمان) يؤدي إلى مثالية من نوع جديد هي المثالية النقدية وهي التي تقف على الضــد من المثـالية الإحتمالية لدى ديكارت والمثالية الدغمائية لدى باركلي .

لقـد إنتهى كانط إلى نوع جديد من المعرفة هي المعرفة النقدية، وهي المعرفة التي تعـتـمـد على مـعطيـات الحـواس بواسطة عناصر ملكة الحس، كـالمكان والزمان وعلى عناصر الفــهم كـالأحكام والمقـولات والقـدرة على التأليف ووحـدة الإبصــار والمُخـيلة والرسوم وعلى مبادىء الفهم المحضة .

إن كل هذه العناصر مجتـمــعة تسهم في بناء المعرفة النّقدية التي تجاوز بها كانط أزمة المعرفة في عصره .

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : مؤلفات كانط المترجمة إلى اللغة العربية

ثانيـاً : المصادر والمراجع باللغة العربية والأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية

ثالثاً : مؤلفات كانط باللغة الأجنبية

رابعاً : المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

أولاً ـ مؤلفات كانط المترجمة إلى اللغة العربية :

١ ـ أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر : د. محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢ : ١٩٦٩ .

٢ ـ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر : د. عبدالغفار مكاوي، مراجعة : د. عبدالرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ : ١٩٨٠، وكانت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ .

٣ ـ مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، تر : نازلي اسماعيل حسين، مراجعة د. عبدالرحمن بدوي، دار الكاتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ : ١٩٦٧ .

٤ ـ نقد العقل العملي، تر: أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ط١: ١٩٦٦ .

٥ ـ نقد العقل المجرد، تر: أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ط١: ١٩٦٥ .

٦ ـ نقد العقل المحض، تر : د. موسى وهبة، مركز الانماء القومي، بيروت، ط١ : ١٩٩١ .

ثانياً ـ المصادر والمراجع العربية والأجنبية المترجمة إلى العربية :

١ ـ إبراهيم، د. زكريا، كانت أو الفلسفة النقدية، مكتبة مصر، القاهرة، ط١:١٩٦٣ .

٢ ـ أرسطو طاليس، المنطق، تر : اسحق بن حنين، تحـ : د. عبدالرحمن بدوي، جـ١، وكالة المطبوعات، الكويت : (بدون تاريخ) .

٣ ـ إسلام، د. عزمي، جون لوك، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، (طبعة تجارية) .

٤ ـ بدوي، د. عبدالرحمن، أمانويل كنت، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١ : ١٩٧٧ .

٥ ـ برهييه، أميل، تاريخ الفلسفة، تر : جورج طرابيشي، جـ٤، وجـ٥، دار الطليعة بيروت، ط١، ١٩٨٣ .

٦ ـ بلانشي، روبير، نظرية المعرفة العلمية (الابستمولوجيا)، تر : د. حسن عبدالحميد، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت: ١٩٨٦ .

٧ ـ بوترو، أميل، فلسفة كانط، تر : د. عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ط١ : ١٩٧٢ .

٨ ـ جـود، منازع الفكر الحـديث، تر : عـبـاس خماس ود. عـبـد العـزيز البـسام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١ : ١٩٥٦ .

٩ ـ جودة، ناجي حسين، المعرفة الصوفية، دار عمان، عمان، ط١ : ١٩٩٢ .

١٠ ـ جـينز، جـيـمس، الفيزياء والفلسفة، تر : د. جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، ط١ : ١٩٨١ .

١١ ـ حـسين، د. نازلي اسماعـيل، النقد في عصر التنوير (كنت)، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ : ١٩٧٦ .

١٢ ـ ديكارت، رينه، مـبـادىء الفلسـفـة، تر : د. عـثمان أمين، دار الثـقـافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ : ١٩٧٥ .

١٣ ـ رسـول، د.رسـول محمد، مسألة الأبستمولوجيا بين النصين الفكري والمعجمي، دراسات عربية، مجلة ع ٣/٤، بيروت ١٩٩٣، ص ٨٧ وما بعدها .

١٤ ـ زيدان، د. محمود، كنط وفلسفته النظرية، دار المعارف، مصر، ط١ : ١٩٧٦ .

١٥ ـ شتروفـة، فـولفـانج، فلسـفـة العلو (الترانسندنس)، تر : د. عبدالغفار مكاوي، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١ : ١٩٧٥ .

١٦ ـ الشماع، د. صـالح، مـشكلات الفلسفة من حيث نظرية المعرفة والمنطق، مطبعة جامعة بغداد، ط٢ : ١٩٧٧ .

١٧ ـ الشنيطي، محمـد فـتـحي، فلسـفـة هيـوم بين الشك والاعـتقاد، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ : ١٩٥٧ .

١٨ ـ الشنيطي، د. محمـد فـتـحي، المعـرفـة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط٣ : ١٩٦٣ .

١٩ ـ شـولز، أوفي، كـانط، تر : أسـعـد رزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ : ١٩٧٥ .

٢٠ ـ صليـبـا، د. جميل، المعـجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، جـ٢، بيروت، ط١ : ١٩٧٩ .

٢١ ـ الطويل، د. توفيق، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، (بدون تاريخ).

٢٢ ـ العظم، د. صادق جلال، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، دار العودة، بيروت، ط٢ : ١٩٧٤ .

٢٣ ـ عفيفي، أبو العلا، مصطلحات الفلسفة، (اعداد جماعي)، دار مطابع الشعب، القاهرة، ط١ : ١٩٦٤ .

٢٤ ـ كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، (دون تاريخ) .

٢٥ ـ كولبه، ازفلد، المدخل إلى الفلسفة، تر : أبو العلا عفيفي، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣ : ١٩٥٥ .

٢٦ ـ ليبنتز، جوتفريد، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تر : أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ : ١٩٨٣ .

٢٧ ـ ليبنتز، جوتفريد، المونودولوجيا، تر : د. عبدالغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ : ١٩٨٣ .

٢٨ ـ محمود، د. زكي نجيب، نظرية المعرفة، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٥٦ .

٢٩ ـ محمود، د. زكي ود. أمين، أحمد، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، جـ١، ط١ : ١٩٦٣ .

٣٠ ـ ميد، هنتر، الفلسفة/أنواعها ومشكلاتها، تر : د. فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧ : ١٩٨٦ .

٣١ ـ النشار، د. علي سامي، المنطق الصوري (منذ ارسطو وتطوره المعاصر) المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١ : ١٩٥٥ .

٣٢ ـ وقيدي، د. محمد، ما هي الأبستمولوجيا ؟ دار الحداثة، بيروت، ط١ : ١٩٨٣ .

٣٣ ـ وهبة، د. مراد، المذهب عند كنط، تر : د. نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١ : ١٩٧٤ .

٣٤ ـ وهبة، د. مراد وآخرون، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط٣ : ١٩٧٩ .

٣٥ ـ يودين، ب وروزنتال، الموسوعة الفلسفية، تر : سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٣ : ١٩٨٣ .

ثالثاً ـ مؤلفات كانط باللغات الأجنبية :

1 - Kant, I., Critique of pure Reason, trans. by Kemp Smith, Macmillan, London, 2nd. imp. 1933, reprinted 1950.

2 - Kant, I., Kritik der reinen Verinunt, verlag von felix meiner in Hamburg, felix meiner, 1956.

رابعاً ـ المصادر والمراجع الأجنبية :

1 - Al-Azm, S., Kant's theory of time, New York, 1967.

2 - Bird, G., Kant's theory of knowledge, Routledge and Kegm Paul, London. 1st ed. 1962.

3 - Broad, G.B., Kant, An Introduction, London, 1978.

4 - Collins, J., A history of modern european philosophy, the brunce publishing company milwaukee, U.S.A. 1954.

5 - Ewing, A.C., A short commentary on kant's Critique of pure Reason, Methuen, London, 2nd. ed. 1950.

6 - Hartnack, J., Kant's theory of knowledge, Trans, Holmes Hartshorne, Macmillan, London, 1968.

7 - Garforth, F.W., the space of philosophy, Longman Group, London, 1977.

8 - Garnett, The kantian philosophy of space, columbia University, New york, 1939.

9 - Kemp, J., The philosophy of Kant, Oxford University Press, New York, Torento, 1968.

10 - Muller, M., Kant's Critique of pure Reason, Vol. I, Macmillan and Co. london, 1881.

11 - Paton, H.J., kant's Metaphysic of Experience, Vol. I, (the humanithies press), New York, 4ed. 1965.

12 - Strawson, P.F., The bounds of sense, An Essay on Kant's Critique of Pure Reason, Methuen, London, 1966.

13 - Weldon, T.D., Kant's of pure Reason, At the Clarend on Press, 2ed, Oxford London, 1958.

14 - Wilkerson. T. E., Kant's Critique of pure Reason, (A commentary for students), clarendon press, Oxford 1976.

15 - Wolff, R., kant's (A collection of Critical Essay). Macmillan, London, 1968.